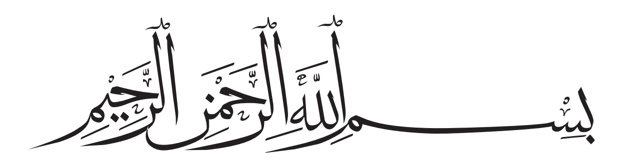
العلم يرفض الليبرالية

عيد الدويهيس

الطبعة الأولى

جمادي الأولى ١٤٢٩ هـ

مايو ٢٠٠٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	٧
- ليس حوار الطرشان	٩
- اتهامات لا تنتهي	١٢
- الديمقراطية للجميع	١٥
- نعم للدولة المدنية	١٩
- أوهام الفكر الجديد	٢٢
- قياس بلا مسطرة	٢٦
- فكرك قديم جداً	٣١
- كارثة العقل الشخصي	٣٥
- خرافة الفكر الحر	٤١
- لم يقل العقل ذلك	٤٧
- استرحت إن كان هذا عقلك	٤٩
- لا للأهداف الجميلة	٥١
- أنا لا أمتلك الحقيقة	٥٦
- الليبرالية ومشكلة الحرية	٦٠
- الحرية الليبرالية المسمومة	٦٤
- الحياة الشخصية أولاً	٦٨
- ماذا عملتم يا إسلاميين؟	٧١
- الإسلاميون والسياسة	٧٥
- التخوف من الإسلاميين	٧٨
- الليبراليون والسياسة والعروبة	٨١
- علاج العقل الليبرالي	٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد،،،

فيأتي كتاب «العلم يرفض الليبرالية» بعد كتاب «الليبرالية الضائعة» والذي تطرقت فيه إلى تعريف الليبرالية وبينت بعضاً من ملامحها وما هو المقبول منها وما هو المرفوض؟ وذكرت أن الليبرالية هي إحدى مدارس العلمانية كما تطرقت إلى بعض الشبهات عند الليبراليين وكيف نرد عليها؟ أما هذا الكتاب فقد سلطت الأضواء على الليبرالية من ناحية علمية وأثبت أنه ليس لها فكر محدد الملامح ولم تأت بفكر جديد ولا يوجد شيء اسمه الفكر الحر وبينت خطأ قياس المبادئ والأحداث بالعقول المجردة من العلم الفكري لأن الحكم على المبادئ يتم من خلال وزنها بميزان العلم لا العقول الشخصية كما وضحت أن النظرة العقلية الجزئية للمبادئ والأحداث لا تؤدي إلى نتائج صحيحة في كثير من الأمور ولابد من النظرة الشمولية المستندة إلى العلم الفكري فكم يقال العقل يقول كذا، ولو أنصفوا لنظروا لكل ما يقوله العقل لا بعض ما يقول، ومن الأمور التي يتبناها الليبراليين الحرية والديمقراطية والدولة المدنية ووضحت أننا نتفق معهم في كثير من المعاني والأهداف ولكن توجد هناك بعض الاختلافات.

وعموماً من يريد أن يتعمق أكثر في فهمه لليبرالية فعليه الرجوع إلى كتابي «عجز العقل العلماني» وهو موجود على شبكة الانترنت وهو كتاب شامل وعميق ومختصر تم التطرق فيع للعقل والعلم والدين والفلسفة والعلمانية وتم وضع النقاط على الحروف في كثير من القضايا التي

يختلف حولها الناس ومن الضروري التعمق والصبر في مناقشة العلمانية والليبرالية فالنقاش السطحي والسريع محدود الفائدة ومع الأسف هو النقاش السائد وما أحوج البشر اليوم إلى مراكز عالمية متخصصة في حوار العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية يتم فيها إدارة الحوار بطريقة صحيحة تركز على الأصول لا الفروع وتفتح الملفات الفكرية من أول صفحة وبالتأكيد أن المبادئ الصحيحة لا تخشى من الحوار العلمي بل هو وسيلتها لإقناع المخلصين بصوابها أما المبادئ الخاطئة فهي التي ستخسر وسيخسر معها من لا يريد معرفة الحق.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي خير الجزاء من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين.

عيد بطاح الدويهيس

الكويت في ٤ صفر ١٤٢٩هـ

١١ فبراير ٢٠٠٨م

ليس حوار الطرشان

كتب الأخ العزيز الدكتور أحمد عبد الملك بجريدة القبس بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠٠٧ مقال بعنوان «حوار الأديان... حوار الطرشان» قال فيه «ولا يمكننا والحال هذه إلا أن نصرح بأن حواراً من هذا النوع الذي يدعي أحد أطرافه التفوق على الآخرين ما هو إلا نوع من حوار الطرشان» وقال «وما جرى خلال مؤتمر الدوحة ما هو إلا نموذجٍ للاختلاف العميق الذي لا يمكن جبره أو وصله كي يتواصل الحوار، تماماً كما هو الحال في الاختلاف فيما بين الطوائف داخل الديانة الواحدة حيث يتمسك كل مختلف بموقفه ولا يتنازل عنه أو يحاول إعادة قراءة التاريخ والتفسير بروح جديدة تسهم في الحوار والتلاقي» وتعليقي على ما كتب الأخ الدكتور أحمد هو:

(١) ما هو الدين؟: الدين الصحيح هو رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر وبالتالي فالواجب لمن يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى أن يبحث عن الدين الصحيح لأنه العلم الفكري أي الحقائق الفكرية أما الدين الخاطئ أو المشوه أو العلمانية أو الليبرالية أو الشيوعية... الخ فهي انحرافات فكرية أي خرافات وأوهام وسراب حتى لو كانت بعض مبادئها صحيحة فكرياً فالمهمة الأولى للعقل البشري هي معرفة الدين الصحيح لأنه ضروري جداً لوصول الإنسان للسعادة والرقي في الدنيا والآخرة. والبدعة الكبيرة للعلمانية والليبرالية هي الهروب من اختلاف العقائد والمبادئ. وأقول ليدعي من يدعي أن لديه الدين الصحيح ولكن الاحتكام هو للأدلة العقلية الصحيحة لا اتباع دين الآباء والأجداد أو غير ذلك.

(٢) تمسك بمبادئك: ما أجمل الإنسان عندما يتبع مبادئه لأنه مقتنع بأنها حق وصواب فهو يدافع عنها ويحاول نشرها وهو أرقى من إنسان يتبع شهواته أو ما يظن أنه يحقق مصلحته أو يتعصب لعرقه أو تحركه أهواؤه

وعواطفه من حب أو كره أو مزاج أو انتقام أو إنسان ترك الضياع والظن يقودانه كما يفعل العلمانيين والليبراليين. فاعتزاز أصحاب المبادئ بمبادئهم شيء طبيعي فهذا ليس غروراً أو عناداً وهؤلاء سيتخلون عن مبادئهم إذا اقتنعوا أنها خطأ وسيؤمنون بالمبادئ الصحيحة ولا تخضع المبادئ للتنازل الجزئي والحلول الوسط من الناحية الفكرية فهذا أمر مرفوض علمياً أما إعادة قراءة التاريخ والتفسير بروح جديدة فهو أمر مرفوض إذا كان معناه تمييع الحقائق الفكرية والتاريخية.

(٣) الحوار الراقي: حسن الحوار وحسن التعايش بين الأديان وحرية الاعتقاد هي أمور مطلوبة وأساسية ولنا في رسول الله قدوة حسنة في حواره وأخلاقه وكذلك فعل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا يصلح للحوار العلمي من يريد أن يسخر من الآخرين أو يشتمهم أو يحرجهم حتى لو كانوا على باطل كبير وللحوار أصول منها أن نعرف المواضيع الرئيسية له حتى لا ننشغل بجزئيات تحول الحوار إلى جدل ومن المهم نشر مفاهيم وأخلاق وأساسيات الحوار الصحيح بين كل البشر وليس فقط بين أصحاب الأديان السماوية الثلاثة كما أن من المهم جداً الدعوة للسلام والتعايش بين الناس وعدم ادخال الدين في معارك لا يدعو لها أي لأهداف سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك.

(٤) كثيرون يغيرون مبادئهم: ليس صحيح أن كل طرف من أصحاب المبادئ يتمسك بموقفه فكثير جداً من الأفراد بل والشعوب والأمم تحولوا من دين إلى آخر ومن مبدأ إلى آخر فالإسلام انتشر في آسيا وأفريقيا وحل مكان المسيحية وعبادة الأصنام والمجوسية والهندوسية وغيرهم والعلمانية أبعدت المسيحية عن أوربا وأمريكا وشعوب الاتحاد السوفييتي كفرت بالشيوعية وهكذا فتغيير المبادئ يحدث كل يوم في عصرنا هذا واقرأ إن شئت عمن دخلوا في الإسلام خلال الخمس سنوات الماضية فقد كتب كثير منهم

قصص إسلامهم. ولكن التغير في المبادئ والعقائد بطيء ويحتاج لوقت طويل فالإنسان يتأثر بالشبهات وبالمعلومات التي تصل إليه عن الآخرين وبالتربية التي عاشها ويتأثر حتى بقدرة من يخالفونه في المبدأ على الإقناع ولا يمكن بمؤتمر واحد أو اجتماع الوصول للحق بل لا بد من الصبر والحكمة والحلم ونحن في حاجة إلى حوار بين كل أصحاب العقائد والمبادئ أي يشارك به العلمانيون والليبراليون والهندوسيون والبوذيون والشيوعيون وغيرهم وليس فقط أصحاب الأديان السماوية.

(٥) الحوار طريق العقل: بالنسبة للمسلمين واختلافهم نجد كل يوم تطور نحو الأفضل في الوصول للحق والصواب والمفاهيم الصحيحة للدين فقد حدثت وتحدث حوارات كثيرة بين المسلمين من خلال الحوار الشخصي والانترنت والفضائيات والكتب والأشرطة وكثيرون أصبحوا يصححون مبادئهم بصورة كلية أو جزئية وبالتأكيد أننا في حاجة إلى حوارات كثيرة جداً وبالحوار الراقي سنعرف الفرق بين الزهد والتصوف الشركي وسنعرف الإيمان من الشرك وسنقترب أكثر من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فبدون الحوار لن يعرف العقل طريقه ولا يمكن تجاهل وجود المبادئ والعقائد فهي موجودة وتنعكس في مواقف وأفعال وآراء وهذا ينطبق على الاختلاف داخل المسلمين وخارجه ولكن بالتأكيد أيضاً أن الاختلاف سيبقى ولن يغير كل الناس عقائدهم ومبادئهم ولكن ما يهمنا هو من يريد الحق والصواب منهم ومن أهم أسباب ثبات كل طرفٍ على موقفه أن النقاش عادة ما يكون بين أفراد غير متخصصين فكرياً فتجد مسلمين لا يعرفون الإسلام بالصورة المطلوبة أو لا يعرفون مذاهبهم وفرقهم وكذلك الأمر مع العلمانيين والليبراليين وغيرهم.

اتهامات لا تنتهي

كتب الأخ احمد الصراف في جريدة القبس بتاريخ ٢١ ابريل ٢٠٠٨ مقالا بعنوان «وصولية الجماعات الدينية» قال فيه «في الدائرة الأولى نجد تزاحما وتنافساً شيعيا ـ شيعيا على مقاعد المجلس ولو أمعنا النظر في الخلفية العقائدية لغالبية المرشحين لوجدنا أنهم ينتمون تقريبا للاتجاه الديني المتعصب نفسه، ولكن ذلك لم يمنعهم من التنافس والتطاحن مع بعضهم البعض بكل ما يعنيه ذلك من قذف وتشهير للوصول إلى عدد محدود من كراسي المجلس اذا، القضية لا علاقة لها بخدمة الطائفة ورفع شأنها ولا علاقة لها بصواب «اعتقاد» هذا المرشح، مقارنة بصحة اعتقاد مخالفيه. فالأمر لا يعدو ان يكون مصالح شخصية أو دولية أو إقليمية. فكيف يمكن بالتالي الوثوق بوعود وشعارات من سينجح من هؤلاء؟ وهذا بطبيعة الحال ينسحب على غالبية المرشحين الدينيين في الدوائر كافة» كلام الأخ احمد هو نموذج لاتهامات لا تنتهي يوجهها كثير من العلمانيين والليبراليين للإسلاميين ولم تترك هذه الاتهامات جهادا أو عملاً سياسياً أو اجتماعياً أو حتى خيريا إلا وشككت في فوائده أو أهدافه أو حتى نوايا أصحابه. وتعالوا نسلط الأضواء على اتهام الأخ احمد حتى تتضح الصورة الصحيحة من خلال النقاط التالية:

١ ـ من البديهيات التي نعرفها كمسلمين أن هناك مساحة كبيرة من الاختلافات الاجتهادية في مجال السياسة وغيرها بين المسلمين مع وجود اتفاق بينهم في مجال القضايا الإعتقادية. فكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويظهر الاختلاف بينهم واضحا، وهذا الوضع طبيعي وصحي لان هناك اختلافا في فهم بعض أمور الدين واختلافا في درجة معرفة الواقع، وبالتالي لا توجد مشكلة في ان يختلف المسلمون في برامجهم السياسية أو أهدافهم الإصلاحية. فالقضية لا تحتاج إلى أن نصفها بان منبعها هو اختلاف مصالح شخصية أو إقليمية أو دولية إذا لم يكن عندنا دليل قوي على

أن الأمر كذلك، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١٢).
واختلاف الجماعات الإسلامية في فهمها للإسلام والواقع وحتى في درجة إيمانها والتزامها أمر معروف وهو مقبول ما لم يخالفوا ما هو معروف من الدين بالضرورة، أي أساسيات الدين، فالأمر فيه سعة وقد اختلف العلماء الذين هم ورثة الأنبياء في كثير من القضايا الاجتهادية وبالتأكيد أن بين الإسلاميين مع اختلافهم كثيرا من الحب والاحترام وهذا ما لا نجده عند العلمانيين، قال تعالى: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾ (الأنفال: ٦٣).
٢ـ غريب ان يأتي رفضٍ الاختلاف من الأخ احمد الصراف، لأنه يعلم ان هناك تنافسا بل صراعاً بين اوباما وهيلاري كلينتون مع أنهما من الحزب نفسه، وهناك صراع بين الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، وهما حزبان علمانيان لهما الاعتقاد نفسه، فلماذا لا يعتبر هذا وصولية أحزاب سياسية علمانية ولماذا لا يعتبر اختلاف حزب العمال البريطاني مع حزب المحافظين وصولية، بل يعتبره حرية رأي وديمقراطية عريقة؟! فلماذا هذا الكيل بمكيالين، خاصة أن تأثير المصالح في العلمانية والدول العلمانية كبير؟! فمبادئهم قليلة جدا ومصالحهم هي الأكثر تأثيرا ويقولون صراحة أنهم يدافعون عن مصالح أميركا أكثر مما يقولون أنهم يدافعون عن مبادئ العلمانية، ألم تقل أم جون كنيدي «معك دولار فقيمتك دولار»؟! وهل يوجد إفلاس ومصالح أكثر من ذلك تعكس حقائق الواقع السياسي العلماني، وهم من يعتقدون ان العلاقة بين الدول قائمة على المصالح فقط؟! ولو تحدثت عن المبادئ والأخلاق لتعجبوا من سذاجتك، أنها فعلا حضارة مفلسة.
٣ـ لم نسمع ونحن نتابع أخبار الانتخابات أن هناك قذفا وتشهيرا بين الإسلاميين في الدائرة الأولى أو غيرها، وإذا وجد بعض ذلك فهو قليل واقل

بكثير مما هو موجود في الحياة السياسية الغربية بين العلمانيين، فالإسلاميون أفضل مائة مرة من العلمانيين في موضوع التشهير والقذف. فقد قال أحد قياديي حزب العمال البريطاني عن تاتشر إنها كلبة عند الرئيس بوش الأب، ومن المعروف إن سياسييهم يبحثون عن أي نقطة ضعف عند منافسيهم حتى لو كانت قبل عقود. ولا يترددون عن البحث عن الفضائح الأخلاقية أو غيرها ويسلطون الأضواء حتى على القضايا الأسرية وما فيها من خصوصية. وقد قال وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق جورج شولتز عندما سئل لماذا لا ترشح نفسك للرئاسة؟ «هناك إشاعة تقول ان هناك وشما على مؤخرتي، فلهذا السبب لن أترشح للرئاسة حتى لا اشغل الشعب الأميركي بهذه القضية». قال هذا سخرية من الأساليب «العلمانية» في الانتخابات، والغريب أنهم يعتبرون البحث عن عيوب المنافسين ذكاء سياسياً لا سقوطاً أخلاقيا.

٤- مما علمنا الله سبحانه وتعالى ان نحسن الظن بالناس ولا نتهم النوايا من دون أدلة ونبتعد عن توجيه الاتهامات، فما أسهل ذلك وما أسوأ تأثيره على العلاقات بين الناس! وهو أسلوب سيؤدي إلى نشر الكراهية والتنافر بين أبناء المجتمع، فمن السهل تشويه سمعة كل المرشحين وكل المسئولين إذا كنا نعتمد على الظن الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم «أكذب الحديث» فإذا سكت النائب في مقام قلنا سكت لأنه له مصالح، وإذا أيد قلنا تم قبض الثمن، وإذا عارض قلنا يريد ثمناً أعلى لسكوته، وهكذا. وبالتأكيد فإن الإسلاميين هم الأفضل في التزامهم بمبادئهم والتزامهم بالمصلحة العامة. ولهذا، نجد نسبة من يدفعون الثمن منهم، والذي يصل أحيانا إلى السجون، أعلى بكثير من نسبة السياسيين العلمانيين العرب. وهذا يثبت من الذي يجري وراء مصالحه، خصوصا أننا أمة فيها كثير من الظلم والمعاناة.

وفي الختام، أرجو أن يتبع الأخ احمد الأسلوب العلمي في قراءة الواقع، لأننا كقراء نريد الحقائق العلمية لا آراءه العقلية، قال تعالى: ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ (النجم: ٢٨).

الديمقراطية للجميع

كتب الأخ عبد اللطيف الدعيج بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠٠٧ بجريدة القبس مقالاً بعنوان «الديمقراطية للديمقراطيين» قال فيه «الديمقراطية للديمقراطيين، والجماعات الدينية مطالبة بإثبات إيمانها بالديمقراطية عملاً ودعوة ودفاعاً عن المبادئ والنظم الديمقراطية بعدها من الممكن دعوتها للإسهام في العمل الديمقراطي الإنساني» وقال «ممارسة التمييز العام والخاص والتدخل بالحريات الشخصية للمواطنين هو ديدن الجماعات وهدفها التي تطالب بإشهار الأحزاب اليوم» وقال «بعض المتحمسين لإشهار الأحزاب بدأ يخلط الأمور، ويقلب بسبب جهله وبدائيته الحقائق، حيث اعتبر البعض أن معارضة إنشاء الأحزاب جريمة وتخلف ليس من المفروض في الديمقراطيين أو الليبراليين ارتكابها. عند هؤلاء البعض القضية أوتوماتيكية، جبرية هي وحسابية، فطالما أن الأحزاب مؤسسات ديمقراطية متقدمة فإن معارضة إنشائها تخلف... هكذا». وأجدني مضطراً للرد على الأخ عبد اللطيف لأن لديه ميزة الصراحة والوضوح ورغبة مني في تصحيح المفاهيم الفكرية والاتفاق على ما يمكن الاتفاق عليه وردي يتمثل في النقاط التالية:

(١) أنت لست ديمقراطي: يطالب الأخ عبد اللطيف الجماعات الإسلامية إثبات إيمانها بالمبادئ الديمقراطية كأن للديمقراطية مبادئ غير الالتزام برأي الأغلبية وحق الأقلية في المعارضة وحرية الرأي، أما معاني المساواة والعدل والحرية الشخصية فيتم تحديدها في أمريكا وبريطانيا وفرنسا بناء على ما تقرره الأغلبية وهذه الأغلبية لم تعتبر استعمار الشعوب واحتلالها واضطهاد شعوبها معارض للمساواة أو العدل أو الحرية وهذا واقع استمر منذ أربعة قرون حتى يومنا هذا. فلا توجد مبادئ للديمقراطية غير ما

ذكرت وما دامت أغلب الجماعات الإسلامية قبلتها فلا عذر مقبول لرفض الديمقراطية إلا إذا قلت الديمقراطية والعلمانية معاً أو الديمقراطية والمبادئ الأمريكية معاً وهنا هي حقيقة الخلاف، فالمشكلة مع الليبراليين المتطرفين ليست في الديمقراطية أو حرية الرأي العاقلة أو الانفتاح الصحيح أو إنصاف المرأة والأقليات فهذا هو فكرهم الظاهر أما الحقيقي فهو العلمانية. وأذكر الأخ عبد اللطيف بأن من مبادئ الديمقراطية أن تلتزم الأقلية بتنفيذ رأي الأغلبية ومشكلة الأخ عبد اللطيف أنه متأكد بأن الديمقراطية ستأتي بآراء أغلبية إسلامية مختلف معها كثيراً فعنده الاستبداد أو حكم أي أقلية أفضل وهو حر في موقفه ولكن ليس من حقه أن يقول أنه ديمقراطي.

(٢) **الاستبداد الفكري:** الديمقراطية هي حكم الشعب أو رأي الشعب فلا يوجد شيء اسمه الديمقراطية للديمقراطيين وليس من حق أحد أن يقول لن أعطيك يا شعب ديمقراطية حتى تكونوا ديمقراطيين حسب مواصفاتي وإذا لم يشارك الشعب فلن تكون هناك أصلاً ديمقراطية لا للديمقراطيين ولا غيرهم. وأفهم شخصياً أن تستبد سلطة بالواقع السياسي لمصالح مالية أو معنوية أو غير ذلك ولكن أن يصر الأخ عبد اللطيف الديمقراطي كما يقول على الاستبداد الفكري المتمثل بمطالبة الجماعات الإسلامية بإعلان إيمانها بالمبادئ التي يؤمن بها شخصياً فهو أمر أسوأ بكثير من الاستبداد السياسي فهو يريد أن يحدد للناس ما يؤمنون به. وأقول إن الليبراليين والعلمانيين الذين يقبلون كل ما تأت به الديمقراطية هم ملتزمون حقاً بمبادئهم وليسوا بدائيين كما يصفهم الأخ عبد اللطيف ومن مبادئ الحرية الأساسية أن من حق الشعوب أن تؤمن بالله سبحانه وتعالى أو تكفر ومن حقها أن تختار من أنظمة الحكم ما تشاء وإذا لم نقبل ذلك فإننا لا نؤمن بالإسلام ولا بالحرية ولا بالديمقراطية.

(٣) الديمقراطية لا تكفي وحدها: بريطانيا هي أعرق وأفضل دولة ديمقراطية وفي نفس الوقت هي من أكبر الدول الاستعمارية خلال الثلاث قرون الماضية فالديمقراطية وحدها لا تكفي ولابد لحياة الفرد والدولة من مبادئ أخرى كثيرة تمنع الظلم والاستعمار والتعصب العرقي والفساد والفسق... إلخ ومشكلة العلمانيين أنهم أعلنوا عجزهم العقلي وجهلهم في مجال العقائد والأخلاق والمعاني الصحيحة للعدل والحرية... الخ وهم لا يفهمون من الحياة إلا أجزاء من السياسة والاقتصاد فكثير جداً من القوانين الفكرية التي تتحكم في حياتنا لا يعرفونها فلنحذر أن نُحمل الديمقراطية أو السياسة أو الاقتصاد أكثر مما يحتملون فسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة تحتاج إلى الالتزام بكل المبادئ الصحيحة في السياسة والاقتصاد وحياتنا الشخصية والاجتماعية والعقائدية.

(٤) الحقائق لا تتغير: عندما يتكلم ليبرالي أو علماني عن «الحقائق» الفكرية أو الواقعية كما فعل الأخ عبد اللطيف أجدني مضطراً لتذكيره بأنه لا يؤمن بوجود حقائق فكرية (في مجال المبادئ) لأنه يعتقد أن ما يوجد هو آراء فكرية تحتمل الصواب والخطأ وتحصيل حاصل تكون الحقائق الواقعية الفكرية آراء لا يمكن الجزم فيها باليقين أي لا يجوز أن يستخدم الأخ عبد اللطيف كلمات مثل «قلب الحقائق» عندما يتحدث عن الأحزاب أو غيرها من القضايا الفكرية ألا تذكرون كلام الأخ عبد اللطيف عن عدم وجود ثوابت أي حقائق وأن التغيير يمكن أن يطول كل شيء.

(٥) نعم للأحزاب العاقلة: من المفروض أن يطالب كل ديمقراطي بإنشاء الأحزاب السياسية فلا ديمقراطية بلا أحزاب سياسية وأنا شخصياً أؤيد من زاوية الفكر الإسلامي الأحزاب ضمن ضوابط تمنع إفسادها بالطائفية

والعرقية والطبقية والإلحاد بمعنى أن علينا السعي كي يمثل كل حزب جميع شرائح المجتمع حتى تتنافس في برامجها وخططها وهذا أمر ممكن لدرجة كبيرة وليس هذا مجال التفصيل ولكن بالتأكيد لنا تجارب مرة في كثير من الدول العربية في مجال الأحزاب ولكن الشورى والعمل الجماعي وحرية الشعوب جزء من مبادئنا فعلينا أن نسير باتجاه الأحزاب ووضع الضوابط الدستورية والقانونية التي تمنع انحرافها.

نعم للدولة المدنية

من القضايا الرئيسية التي يجب أن يناقشها الإسلاميون المعتدلون والليبراليون المسلمون قضية الخطوط الرئيسية للنظام السياسي لدولنا وخاصة ما يتعلق بالشورى ومكانتها وإلزاميتها وبحدود حرية الرأي وبدور الأقليات وحقوق الإنسان ومدنية الدولة الإسلامية وسأركز في هذا المقال على أن الدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دولة دينية بالمفهوم الغربي لهذا المصطلح والذي يعني أن رجال الدين يختارون حاكماً يحكم بالنيابة عن الله سبحانه وتعالى وأن ما يأمر به هذا الحاكم هو ما يأمر به الله سبحانه وتعالى. وأقول الدولة الإسلامية دولة مدنية فلا توجد في الإسلام طبقة اسمها رجال الدين ولا يختار علماء الإسلام الحاكم بل يختاره الشعب أو من يمثله فالدولة الإسلامية دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية في حين أن أمريكا دولة مدنية ذات مرجعية علمانية. فالمطلوب أن تكون الدساتير والقوانين في الدول الإسلامية نابعة من الشريعة وما ليس نابعاً منها لا يعارضها. وعندما أقول الشريعة فأقصد ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى من أوامر واضحة أما القضايا الاجتهادية لمذاهب أو علماء أو جماعات إسلامية فهي ليست الشريعة وأحد الخلافات بين الإسلاميين المعتدلين والليبراليين المسلمين هو غياب الفهم الصحيح للشريعة والفقه ويمكن سؤال علماء المسلمين لفهم ذلك قال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فأحد مشاكلنا أن البعض يظن أن اجتهاده هو الدين وبالتالي من يختلف معه يختلف مع الدين ولا يسيطر على الدولة الإسلامية علماء الإسلام بل دورهم كدور الخبراء الدستوريين ويجب مشاورتهم في شرعية ما يقترح من قوانين أما فتاوي واجتهادات العلماء فهي غير ملزمة للدولة المسلمة إلا إذا كان هناك إجماع بينهم وأضيف إلى ذلك أن الخطط

والبرامج والأهداف والميزانيات والأولويات وقضايا الحرب والسلم والعلاقة بالدول الأخرى والمواقف السياسية هي أمور يحددها أهل الحكم والسياسة وليس علماء المسلمين ويجب أن يكون دور ومجال عمل السياسيين واضحاً وما أقوله واقع موجود في أغلب الدول الإسلامية فعلماء الإسلام نادراً ما تجد أحداً منهم في حكومة أو مجالس نيابية أو حتى يرشح نفسه في الانتخابات فهم أزهد الناس في المناصب وباختصار دور الشعب والحكومة وأهل السياسة والعقل والتفكير دور كبير جداً جداً في الدولة الإسلامية ودور العلماء هو دور الناصحين والمعلمين والحكماء ومن جميل ما يذكر أن الإمام الحسن بن على رضي الله عنه لم يقبل أن يبايعه المسلمون بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الالتزام باجتهاد أبيه في معالجة الفتنة مع مكانة أبيه الكبيرة عند المسلمين ولما بايعوه جنح للسلم بل تنازل عن الخلافة ووحد المسلمين. ونحن بحاجة ماسة إلى الاتفاق على دساتير وقوانين ومواثيق فكرية وسياسية يتجسد فيها رقي فكرنا وواقعيته واعتداله وتسامحه والاستفادة من تجارب الآخرين... إلخ

قال ابن عقيل «السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به وحي فإن أردت بقولك لا سياسة إلا ما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح وإن أردت ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة» وقال ابن القيم «فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت إمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره» وقال أيضاً «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها

وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها»

ومن الأمور المهمة جداً أن يكون هناك عدل بين أبناء الشعب في اختيار الأفراد للمناصب والوظائف الحكومية ولا يدخل الدين والطائفة والحزب في المفاضلة بل مقياس ذلك الأمانة والاجتهاد في العلم والعمل وما أقوله هو جزء من الإسلام. ويحق لنا التعجب ممن يطالب بالالتزام بالدستور والقوانين والديمقراطية ويلغي أو يقلل من أهمية الالتزام بالمبادئ لأن الدستور والقوانين والديمقراطية لا تتعامل إلا مع جزء قليل من حياتنا ولهذا لا تصلح وحدها لبناء دولة أو حتى فرد في حين أن مبادئنا الإسلامية تتعامل مع كل حياتنا فهي التي تحكمنا في التعامل مع أمهاتنا وآبائنا وأبنائنا وزوجاتنا وأعمالنا وانتماءاتنا العرقية وشهواتنا وأصدقائنا وأعدائنا؟... الخ ولولاها لانفجرت فينا نوازع الشر من ظلم وأنانية وبخل وانتقام وكسل وعصبيات عرقية وشعبية وقومية ولصرنا عبيد المال والمناصب. وما أكثر العبيد في هذين المجالين وهؤلاء العبيد فشلوا في بناء أنفسهم فلم ينجحوا في بناء أسرهم ودولهم وهذا واقع مشاهد.

أوهام الفكر الجديد

قال الأخ عبد اللطيف الدعيج في جريدة القبس بتاريخ ٢٧ مارسٍ ٢٠٠٧ «باختصار ومباشرة الليبرالية هي التحرر من كل شيء، خصوصاً القيم والعادات والتجارب والخبرات السابقة ولكن ليس رفضها بمعنى أن الإنسان «الحرِ» أو المتحرر لا يسقط خبراته وتجاربه وعقيدته على الجديد (الخلاف دائماً على الجديد) بل يتقبل الجديد كما هو فقد يكون فيه نفع وإن خالف ما يعتقد أو يؤمن به الحر. طبعاً سنكون بحاجة إلى مجلدات لشرح هذا المفهوم لكن الأفضل الاعتماد على ملخص أن الإنسان الحر هو الذي يتجنب الحكم على الأشياء بشكل مسبق ولا يقيسها بمقدار مواءمتها أو مخالفتها لما يؤمن أو يعتقدٍ به» وسأركز في هذا المقال على عبارة «الخلاف دائماً هو على الجديد» تاركاً الأجزاء الأخرى لمقالات قادمة وأقول:

(١) أرجو أن يشرح الأخ عبد اللطيف ما يقصد بالليبرالية بصورة واضحة ولا يرجعنا إلى مجلدات لم يؤلفها بعد ولا أعتقد أن الأمر بحاجة إلى مجلدات أصلاً لتوضيح الليبرالية أو غيرها فلا مجال للغموض والتعقيد في الفكر ولا أعتقد أننا بحاجة إلى اسلوب «أشوف شيء ما تشوفونه» فمثل هذا القول يريدنا أن نقتنع بدون أن نفهم وهذا اسلوب تطرقت له في كتاب «عجز العقل العلماني» والذي بينت فيه أن الفلاسفة يحيطون أنفسهم بسياج معقد من المصطلحات والغموض جعل بعض الناس يظنون أنهم أهل علم وعقل والأمر ليس كذلك بدليل تناقض الفلاسفة وضياعهم واختلافهم.

(٢) توجد في العلم المادي حقائق جديدة وهناك تراكم علمي فاليوم نجد المتخصص في علم الطب يعرف أكثر بكثير مقارنة بالمتخصص من قبل

قرن أما في مجال الفكر والعقائد والمبادئ كالإسلام والمسيحية والعلمانية بمدارسها المختلفة وعقائد المصالح وغيرها فلا يوجد حقائق جديدة ولا يوجد تراكم علمي فالأنبياء هم أكثر الناس علماً بالحقائق الفكرية مع أنهم ماتوا قبل ألف وخمسمائة سنة وأكثر ولا يوجد جديد في الفلسفة التي هي أم العلمانية ولا يوجد جديد في معاني الحرية أو العدل أو المساواة والجديد في المسميات فقط فالبشر اختلفوا منذ آدم وحتى يومنا هذا في المعاني الصحيحة للتوحيد والشرك والعدل والحرية والعقوبات العادلة والحقوق والواجبات الزوجية... الخ فبالنسبة للفلسفة قال الأستاذ هنترميد «وهكذا فإن المبتدئين، سواء كانوا من الواثقين أم غير الواثقين بأنفسهم، يكتشفون عادة أنهم ليسوا وحيدين في تفكيرهم، إذ أنهم سرعان ما يعلمون أنه لا جديد -إلا القليل جداً- تحت شمس الفلاسفة ولابد أن تمر بالمرء لحظة هائلة، قد تملكه فيها فرحة طاغية، أو خيبة أمل عميقة عندما يكتشف أنه شريك في الفكر لأفلاطون أو باركلي أو اسبينيوزا» (١)

أما بالنسبة للأديان السماوية فهي دين واحد وإن اختلفت بعض الأحكام والعبادات قال تعالى ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ (٤٣) سورة فصلت.

بكلمات مختصرة كل العقائد الدينية والعلمانية قديمة ولا جديد تحت شمس الفكر ولا يوجد فكر جديد فالديمقراطية قديمة وكذلك التوحيد والشرك والاستبداد... الخ وأنا هنا أتكلم عن الأصول والقواعد للعقائد والمبادئ لا الفروع والاجتهادات.

(٣) نعلم كمسلمين أن المبادئ الفكرية الإسلامية هي حقائق فكرية وأن ما يخالفها مبادئ خاطئة فكل من اتبع عقائد أبائه وأجداده فهو مخطئ وكل من اتبع عقله الشخصي كالفلاسفة والعلمانيين مخطئ وكل من اتبع عالم

---

(١) ص ١١ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها الأستاذ هنترميد ترجمة د. فؤاد زكريا

أو حاكم أو حزب أو سلطة تبعية عقائدية فكرية هو مخطئ وكذلك من عبد الشمس أو القمر أو اتبع هواه وشهواته أو مصالحه المادية فهذه المدارس الفكرية وغيرها مدارس قديمة باطلة وكل ما في العصر الجديد من مبادئ خاطئة هو امتداد لها وكان ولازال الصراع بين أصحاب هذه المبادئ وسيستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها والليبرالية ليست فكراً جديداً بل هي أجزاء فكرية موجودة قديماً حتى لو لم يكن يطلق عليها مسمى الليبرالية وأنا أتكلم عن الجوهر والمعنى لا الأشكال والأسماء والعلمانية والفلسفة وجهان لعملة واحدة وهي اتباع العقل الشخصي دون التزام بمبادئ إسلامية أو دينية والاختلاف بينهما أن الفلسفة تهتم بكل القضايا الفكرية من وجود الخالق والخير والشر والسعادة والشقاء وغير ذلك في حين أن العلمانية تركز على القضايا السياسية والاقتصادية ولا تهتم بالعقائد والمبادئ.

(٤) لا يوجد فكر جديد بل يوجد تغيير فكري عند الشعوب والأفراد أي هناك تغييرات عقائدية جزئية أو كلية في حياة الشعوب تقربهم للحق أو تبعدهم أي تنقلهم من فكر إلى آخر أو إلى خليط فكري فالإسلام يعتبر عند المجتمع الياباني فكراً جديداً يخالف مبادئهم والعلمانية فكر جديد عند المسلمين فالجديد هو الإيمان والاقتناع بهذا المبدأ أو ذاك ومن الطبيعي أن يتمسك الناس بما يؤمنون به في وجه أي فكر جديد لا يعرفونه ويكون هناك صراع بين القديم والجديد حتى ينتصر أحدهما أو يصلون لحل وسط أو غير ذلك والمجال الفكري ليس مشابه للمجال المادي الذي ليس فيه تناقض لأنه يحكم على الحق من الباطل فيه بالتجربة والمشاهدة والاستنتاج بينما المجال الفكري فيه معلومات خاطئة أو فهم خاطئ أو عدم رغبة في معرفة الحق أو نماذج سيئة لهذا الفكر أو ذاك في فهمها أو إيمانها فإذن لا يوجد جديد وقديم في الفكر بل يوجد صراع بين حق وباطل أو باطل وباطل.

(٥) يقول الأخ عبد اللطيف «الاختلاف دائماً حول الجديد» وأقول نعم سيحدث خلاف حول أشياء جديدة وبالتأكيد يوجد اختلاف أيضاً حول كثير من الأشياء القديمة فعملية تغيير الدوائر الانتخابية في أي بلد ستحظى بمؤيدين ومعارضين ومن المتوقع أن يؤيد كل الموظفين زيادة رواتبهم لأنها تحقق مصالحهم مع أنها جديدة فمن الخطأ تقسيم الأمور إلى جديد صحيح وقديم خاطئ والمسلمين قبلوا كثيراً من الجديد في المجال المادي والسياسي والاجتهاد الفكري كالانتخابات ووجود الدساتير والدخول في الأمم المتحدة وإصدار الصحف وإنشاء القنوات الفضائية وغير ذلك ودرس عشرات الملايين من المسلمين في جامعات أجنبية ومحلية علوم الهندسة والطب والإدارة والحاسب الآلي فليست لدينا مشكلة مع الجديد المفيد ولكننا نرفض العلمانية والليبرالية والتبرج والفسق والزندقة والإلحاد فلا يمكن أن نتقبل كل جديد كما يدعونا الأخ عبد اللطيف.

قياس بلا مسطرة

يعرف البعض الليبرالية بأنها حرية الرأي والديمقراطية وآخرون يعرفونها بأنها حماية حرية الفرد من تسلط الجماعة وهناك من يقول أنها التحرر ومخالفة ما يؤمن به المجتمع من عقائد وعادات وهناك من يرى أنها عدم الالتزام بفكر محدد ويرى الأخ عبد اللطيف الدعيج "أن الليبرالي هو الإنسان الحر الذي يتجنب الحكم على الأشياء بشكل مسبق ولا يقيسها بمقدار مواءمتها أو مخالفتها لما يؤمن أو يعتقد به" وبالتأكيد أن هناك معاني أخرى لليبرالية لأنه لا يوجد مرجع واحد يتم اعتماده علمياً وتطرقت لهذا الضياع في كتابي "الليبرالية الضائعة" وسأركز هنا على نقد المعنى الذي ذكره الأخ عبد الطيف من خلال النقاط التالية:

(١) نعلم أن الطبيب يشخص الأمراض والعلاج بناء على ما درسه في كلية الطب لسبع سنوات أو أكثر ولو قاس الأمور بعقله الشخصي أو ما يؤمن به من أراء وليس بحقائق الطب التي تعلمها في التشخيص والتحليل والعلاج والأدوية لتعرض للمحاكمة وكذلك الأمر مع المهندس والكيميائي والفيزيائي... الخ إذا كان هذا ما يحدث في العلم المادي فإن الأمر نفسه في مجال الفكر حيث أن الإنسان يبحث عن الحق في العقائد والمبادئ وعندما يقتنع بأن فكر ما حق (علم) يصبح مسلماً أو مسيحياً أو علمانياً رأسمالياً أو علمانياً شيوعياً أو غير ذلك وسيقيس المبادئ الفكرية والموقف من الدول والأفراد والأحداث بناء على ما يؤمن به فقد كان العربي المقتنع بالشيوعية في منتصف القرن العشرين يعتبر الاتحاد السوفييتي والصين دولتين راقيتين وحضاريتين ولهذا يتعاطف معهم ويودهم ويعتبر المسلمين رجعيين وأصحاب خرافات وهكذا وباختصار الإنسان يتحرك ويقيس الأمور بناء على ما يؤمن به من عقائد ومبادئ فالإنسان لا يستطيع أن يتجرد من مبادئه كما يظن الأخ عبد اللطيف لأنها مبادئ وصل إليها بعد قراءة وتفكير واقتنع بصوابها.

(٢) ليس معنى إيمان الشيوعي العربي أو حتى الشيوعي الروسي بالشيوعية أن كل شيوعي سيقف مع الاتحاد السوفييتي لو غزا مصر أو الجزائر أو حتى الولايات المتحدة بل هناك شيوعيون قد يعتبرون هذا عدوان وظلم فأصحاب المبادئ لا يتعصبون بصورة عمياء لكل من ينتمي لهم من دول أو أحزاب أو أفراد وكل مسلم ملتزم يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم قدوته ويحبه حباً شديداً ومع هذا قال أحد الصحابة لما طلب منه بعض اليهود أن يحكم بينهم وبين الرسول في قضية "يا معشر اليهود أنتم أبغض خلق الله لي ومحمد أحب خلق الله لي ولكن ذلك لا يمنعني أن أعدل" أي سيحكم بالعدل لأن هذا جزء من مبادئنا الإسلامية وهو يتطلب معرفة جوانب القضية وعدم التأثر بأطرافها. فنحن لا نحكم على الأمور بصورة مسبقة من حيث الانتماء العقائدي أو الطائفي أو المذهبي أو العرقي أو الطبقي أو غير ذلك للأطراف المختلفة أو المتصارعة بل بناء على مبادئ الإسلام وحقائق الواقع وما فيها من مواثيق وقوانين وأعراف وأدلة فنحن أفضل من يلتزم بالعدل ولو تم اختصار مبادئ الإسلام في كلمتين لكانتا التوحيد والعدل فنحن خير البشر للبشر ومن رأى كيف تتعامل الدول كبيرها وصغيرها والشعوب والأحزاب والقبائل والأفراد بمبادئ نصيب العدل فيها ضعيف أو كيف تتحكم بها المصالح أو الأهواء أو الغرور أو الطمع أو الانتقام عرف صدق ما أقول.

(٣) القضاة في المحاكم والعقلاء من الناس لا يحكمون على الأفكار والأقوال والأفعال والأفراد والأحداث إلا بعد جمع المعلومات الصحيحة وتحليلها وأمرنا الإسلام ألا نتبع الظنون وأن نتثبت من الأخبار إذا كان نقلها فاسق وطالبنا بالشهود والإثباتات الورقية وغيرها والموضوعية لا تتعارض مع أن للقضاء مقاييس قانونية محددة يلتزمون بها وللعقلاء موازين فكرية سواء كانت هذه الموازين صحيحة كالإسلام أو خاطئة كالعلمانية.

(٤) لا يوجد إنسان بلا عقائد فحتى من يتبع مصلحته هو إنسان له عقيدة اتباع المصلحة الشخصية ولأن الأخ عبد الطيف يؤمن بالحرية الكبيرة ويدافع عن العلمانية فنتوقع منه مسبقاً رفض أي مشروع قانون يقلل من حجم الحرية ومعارضته لمنع حفلات غنائية راقصة وغير ذلك فهو شاء أو أَبَى يحكم على الجديد من الأمور بناء على ما يؤمن به فليس صحيح أنه لا يقيس الجديد بما يؤمن به فهذا ظن ووهم. والإنسان الذي يريد أن يحكم على الأمور الفكرية من دون خلفية فكرية هو إنسان بلا فكر أصلاً وهو إنسان غير موجود والإنسان الذي يريد أن يحكم على الأمور الواقعية من دون خبرة واقعية هو إنسان غير موجود أي هو كالطفل الذي لم يعرف أن النار تضره أو أن الماء ينفعه فمثلهما كمثل طالب الطب في أول يوم في كلية الطب حيث لا رصيد علمي لديه ولا رصيد عملي فعدم وجود رصيد هو نقص وضياع لا ميزة وحسنة فالليبرالي إذن هو إنسان يرى كل المبادئ والعقائد الدينية والعلمانية خاطئة ولا تصلح لأن يستخدمها في القياس وهو في نفس الوقت ليس له عقائد وتصور محدد فوضعه كوضع برتراند رسل الذي قيل عنه "فيلسوف بدون فلسفة" وهذا أمر لا يكون إلا لضائع لأنه لا يوجد عالم بلا علم وإذا كان يوجد علم الإسلام وعلم المسيحية وعلم الفلك فلا يوجد علم اسمه علم العلمانية أو علم الليبرالية وهذا دليل قاطع على جهلهما وضياعهما فهما تدعوان الناس إلى سراب لا علم.

(٥) من المعروف أن هناك شمولية في الفكر وشمولية في الواقع وشمولية في العلم المادي وأن هناك تكامل فكري صحيح أو خاطئ فلا يمكن الحكم على جزئية فكرية أو قضية واقعية من دون وجود تصور فكري وواقعي صحيح أو خاطئ للكون والحياة والإنسان ففي العلوم المادية لا يمكن أن يقرر الميكانيكي هل قطع الغيار تصلح لماكينة السيارة من دون معرفة نوع

الماكينة وكذلك الأمر مع الأجزاء الفكرية فلا يمكن الحكم على صلاحها أو فسادها من دون وجود تصور فكري شامل ولأن الأخ عبد اللطيف مقتنع بأنه لا يوجد تصور فكري علماني صحيح فيجد نفسه مضطراً لمحاولة الحكم على الجزئية الفكرية أو الواقعية بصورة منفردة وتصور موقف الميكانيكي لو طلبت منه معرفة مناسبة قطعة غيار لماكينة لم يتم تحديد نوعها لاشك أنه سيضيع وللأبد.

(٦) هناك من أصحاب العقائد الصحيحة أو الخاطئة من يبالغ في استخدام الميزان الفكري ويقلل من دور العقل والواقع ولهذا يتخذ كثيراً من مواقفه من الأفراد والدول والأحداث بناء على الهوية الفكرية لأصحابها فإما أبيض أو أسود وإما صديق أو عدو. والرسول صلى الله عليه وسلم تحالف مع كفار ويهود فمن يحاربك ليس كمن يساعدك حتى ولو كان كافراً بل إن المسلم قد يحارب المسلم إذا اعتدى عليه والمهم أن وجود فهم خاطئ للفكر الإسلامي من بعض المسلمين وحتى بعض العلماء هو أمر لا يجوز أن يجعل منه الليبراليين قضية فالأغلبية الساحقة من الإسلاميين والمسلمين يؤيدون الانتخابات ويؤيدون الالتزام بالأغلبية في النقابات والمجالس النيابية والجمعيات المهنية والتعاونية... الخ فالفكر الإسلامي ليس فكر يتصادم مع العقل أو الواقع أو المصالح الحقيقية للشعوب بل يحققها بأفضل صورة ومن الخطأ إدخال الانتماء الإسلامي أو غيره في الانتخابات الطلابية والعمالية والمهنية فالمهم هو من يحقق الأهداف المرغوبة بأفضل صورة والمجال السياسي لابد من تنظيمه بصورة إسلامية صحيحة فلابد من تمثيل القوى الرئيسية في الشعب مهما كان دينها أو مذهبها أما نظام الدولة فيجب أن يكون نظاماً إسلامياً.

(٧) إذا كان الأخ عبد اللطيف يعتقد أن الليبرالي على صواب لأنه لا يسقط معتقداته وما يؤمن به على ما يستجد من أمور بل يقيسها بما تحققه من منفعة فلماذا لا يفتح الملف من أوله؟ ويقيس بميزان العقل المعتقدات كلها من دينية وعلمانية ويحدد الحق من الباطل فيها أي ما فيها من علم وجهل. أما إذا كان قد حاول وعجز كما عجز العلمانيون قبله ووضحت ذلك في كتابي «عجز العقل العلماني» فإنه سيكون أكثر عجزاً وضياعاً في الحكم على أحداث الواقع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومعروف في العلم المادي أنه كلما زاد نصيب دولة من هذا العلم كلما كانت أقدر على التصنيع والابداع والقوة وكذلك الأمر مع العلم الفكري والذي بالتأكيد أن رصيدنا الإسلامي كبير وأكبر بكثير من الرصيد العلماني المشكوك في وجوده وصوابه من العلمانيين أنفسهم.

(٨) مشكلتنا مع العلمانيين أنهم لا يعلمون أن الإسلام هو العلم الفكري في حين أن العلمانية والفلسفة هما الجهل الفكري فالدين الإسلامي هو العلم والنور واليقين والهداية وما يخالفه هو الجهل والظلام والشك والضياع وإذا التزمنا بالإسلام نبني الأفراد والأسر والدولة ونحقق السعادة في الدنيا والآخرة فلماذا نفصله عن الدولة وعن حياتنا الشخصية؟ ونستبدله بعلمانية ضائعة قلقة ليست لها مبادئ محددة بل هي قائمة على التناقض والاختلاف في كل القضايا الفكرية ابتداء من وجود الله وصفاته ولماذا خلقنا؟ ومروراً بمعاني الحرية والعدل وانتهاءً بأصغر قضية فكرية شخصية وباختصار الدين الإسلامي هو العلم فلا تضلكم العلمانية بشبهاتها واتهاماتها وشعاراتها "ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

فكرك قديم جداً

الليبرالية عند الأخ عبد اللطيف الدعيج هي «أن يحكم الإنسان عقله في كل جزئية فكرية "عقيدة ما أو مشروع قانون" أو حادثة واقعية (حدث سياسي) وذلك بناء على ميزان الإيجابيات والسلبيات» وهذه فلسفة قديمة هي فلسفة المنفعة والأغلبية من الجزئيات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية يمكن تأييدها ويمكن أيضاً رفضها بناء على ميزان الإيجابيات والسلبيات فيمكن مثلاً تأييد مبدأ المساواة بين البشر مادياً كما حاولت الشيوعية فهي فكرة لها إيجابيات وسلبيات لكن الشيوعيون رأوا أن إيجابياتها أكبر في حين رأى الرأسماليون أن إيجابيات عدم المساواة المادية بين البشر أكبر من سلبياتها لأنها تشجع على الاجتهاد في العلم والعمل ويمكن تأييد أو رفض عقوبة الإعدام أو إباحة الإجهاض والزنا ويمكن مدح وذم الحرب أو الزواج أو العزوبية أو العبادة أو العمل أو الكسل أو النفاق أو الصدق... إلخ وستصاب العقول بالضياع والتناقض في مبادئها واقتناعاتها إذا استخدمت مقياس وميزان الإيجابيات والسلبيات وهذا ما جعل الفلاسفة أكثر الناس اختلافا وتناقضاً بل أن هذا الأسلوب لا يؤدي إلى تشابه عقلين اثنين في مائة قضية فكرية أساسية أما على مستوى الواقع والموقف من الدول والأحداث والأحزاب والأفراد فإن هذا الأسلوب فاشل ويؤدي إلى الاختلاف والتناقض أي لا يوصل للحق والصواب مهما قدم كل طرف أدلته ومبرراته وأسلوب تناول القضايا الفكرية بالقطعة لا بالجملة أي بصورة جزئية لا كلية أسلوب لا يصلح لبيان الحق من الباطل لأنه سيؤدي إلى وجود خلطات فكرية كثيرة بعدد أفراد البشر المفكرين وهذا هو الجهل والضياع والأسلوب الصحيح هو الحكم على أصول وأسس المبادئ الفكرية من حيث ما هي الأدلة العلمية التي تثبت صحة أو خطأ هذا الفكر أو ذاك بمعنى أننا لا نحكم على

الشيوعية من حيث إيجابيات أو سلبيات أصولها بل تناقش الشيوعية في الأدلة التي تقدمها على نفي وجود الخالق ويناقش الإسلام من حيث الأدلة التي يقدمها على وجود الخالق وعلى صدق الرسول محمد صلى الله وسلم أما العلمانية الرأسمالية فلا دليل علمي لديها أبدا فكل أدلتها أنٍ الفكر المسيحي ورجال الكنيسة كانوا على خطأ وهذا بحد ذاته ليس دليلاً علمياً على أن الاتجاه المعاكس (العلمانية الرأسمالية) هو الصواب.

وأقول نعم تدخل الإيجابيات والسلبيات في الحكم على قضايا واقعية كثيرة وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون الواعون من بعده ولكن صحة هذا الميزان مرتبطة بوجود ميزان فكري كبير وصحيح وشامل (الإسلام) حدد معنى التوحيد والعدل والمصلحة والحرية والخير والشر والحرب المشروعة والسلم والعبادة والعمل الصالح والعمل الفاسد وفضيلة الصدق ورذيلة النفاق... الخ فأدى ذلك إلى ترشيد استخدام ميزان السلبيات والإيجابيات أي الاجتهاد العقلي في الحكم على الاجتهادات الفكرية والقضايا الواقعية المتعلقة بالدول والجماعات والأفراد والميزان الفكري الصحيح (الإسلام) ليس ميزاناً جامداً يسقط فكره بصورة عمياء أو يحكم على الأمور بدون معرفة حقائق الواقع والأحوال والظروف والقوة والضعف وقوة الإيمان وضعفه والمقارنة بين المر والأمر وبين السيىء والأسوأ ويكفي أن نقول أنه تم وقف جزئية فكرية صحيحة وهي قطع يد السارق عندما حدثت المجاعة وهذا فيه دليل على ارتباط الفكر الإسلامي بالعقل والواقع وهذا المزيج لا تجده عند أي فكر علماني لأن الفكر العلماني لم يصل إلى فكر صحيح بل وصل إلى آراء تحتمل الصواب والخطأ وهى آراء متناقضة يحددها التصويت (الأغلبية) على مستوى الدولة ويحددها كل فرد بصفة شخصية فيما يتعلق بحياته الشخصية أما الأخ عبد اللطيف فهو مكتفي والحمد لله على كل حال بالعقل والواقع فهو يلغي أهمية الفكر أي العقيدة

فاستخدام العقل الشخصي لوحده في الحكم على الأمور كارثة علمية لأنه أسلوب سيؤدي إلى اختلاف الناس وتصارعهم فالمقاول مثلاً حتى لو كانت عنده ثلاثين سنة خبرة فهو لا يقيس المسافات في البناء بعقله بل يقيسها بمقياس المسافات ولهذا يتفق كل من له علاقة بمشروع البناء بالمسافات وغيرها وكذلك الأمر مع الطبيب والكيميائي والمزارع فهم لا يقيسون الأمور بعقولهم بل بعلم الطب وعلم الكيمياء وعلم الزراعة فإذا العلم المادي أو الفكري هو الأساس في القياس لأنه علم واحد أما عقول البشر فهي بالمليارات فالعلاقة بين العلم والعقل هي كالعلاقة بين النور والبصر فبلا نور لا يرى البصر والعلم الفكري الصحيح (الإسلام) هو النور والعقل هو البصر والليبرالي هو رجل في غرفة مظلمة يزعم أنه يرى لأن عينيه سليمتين ومفتوحتين قال تعالى: ﴿يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ آية ١٧٤ (سورة النساء). وعموماً فإلغاء وجود فكر صحيح أي علم فكري هي ردة فعل عاطفية ممن تعرض لاضطهاد الكنيسة وفكرها المشوه في العصور الوسطى فتم رفض كل الفكر الديني المسيحي وليس فقط ما تعارض معه من العلم المادي أو ما خدم الظلم والاضطهاد وتم رفض كل دين حتى لو كان ديناً صحيحاً كالإسلام ليس فيه تعارض بين العلم الفكري والعلم المادي ولا يستطيع أهل الظلم استخدامه لمصلحتهم وتم رفض كل ما يؤمن به الناس وما يطبقونه حتى لو كانت أخلاقاً فاضلة أو عادات وتقاليد جميلة أو خبرات مفيدة وهذا الموقف متطرف في عدائه وانتقامه فكل شيء يشكون في صوابه حتى لو قام عليه ألف دليل ولهذا تم أيضاً رفض كل فكر علماني تم الوصول إليه بعقول علمانية سواء كان هذا الفكر شيوعياً أو اشتراكياً أو رأسمالياً أو غير ذلك والعقل يقول ليست كل ما تقوله المسيحية خطأ فلا زال كثير من الأوربيين يؤمنون بصدق المسيح وقبل العلمانية كانت هناك عقول تفكر وآمنت بالمسيحية ويقول العقل

لنفصل الأجزاء الخاطئة منها مما يتعارض مع العلم المادي أو ثبت خطأه فكرياً ولنفصل الفكر الصحيح (الإسلام) عن سوء التطبيق أو سوء الفهم فكل فكر يمكن أن يساء تطبيقه. وردة الفعل العاطفية أوجدت ليبراليين لا يؤمنون بأي شيء حتى يكونوا في الجانب الآمن والجانب الآمن ليس إلا مرحلة أولية يتبعها مرحلة البحث عن الفكر الصحيح فالاكتفاء بها كارثة علمية والليبرالي هو إنسان متحرر من الفكر أي هو فرد في أول الطريق لم يصل إلى فكر صحيح وفي هذا نسف لكل ما وصلت إليه البشرية من علم وجهل فهو إنسان يصيح أنا حر أنا أعشق الحرية فالحرية وحدها تحقق كل خير وعدل ومصالح... الخ وهذا ليس صحيحاً فالحياة السعيدة فيها قيود ومسؤوليات وواجبات نحو الله سبحانه وتعالى ووالدينا وأبنائنا وزوجاتنا وفيها قيود في العمل والتجارة والاقتصاد والسياسة وهناك دستور وقوانين وأقول لا خلاف عند البشر على نتائج العلم المادي وصوابه ولكن الخلاف هو في القضايا الفكرية من عدل وحرية وسياسة وعقائد فالعلم المادي لم يقل أبداً كن علمانيا أو ليبرالياً أو افصل الدين عن الدولة أو الزندقة فكر صحيح ولم يقل ذلك الله وأنبياؤه ولا يوجد في العلم المادي اختلافات ولا يوجد في العلم الفكري الصحيح اختلافات أساسية بل اجتهادية وبالتالي فالعلمانية والليبرالية ليست من العلم في شئ لأن كلها اختلافات بل هما منبعا الجهل حتى لو أصابتا في بعض القضايا الفكرية وصوابها جاء من كثرة أرائهم وتناقضها فلا بد أن يكون بعضها صحيحاً فلديهم معاني كثيرة ومختلفة للحرية فلابد أن يكون بعضها صحيحاً أو قريباً من الصحيح فهم يطرحون المعاني والأحكام ومواد الدستور للشعب وما يقبله بالتصويت لا العقل يتم تطبيقه حتى لو كان خاطئاً عقلياً لأنهم لا يعرفون ما هو الخاطئ عقلياً.

كارثة العقل الشخصي

يركز العلمانيون والليبراليون على أهمية العقل وأنه المرجع الذي يحتكمون إليه وحقيقة الأمر أن هذا الإدعاء هو من أشد عمليات التزوير العلمي التي حدثت خلال الأربعة قرون الماضية ولا زالت مستمرة وإليكم الأدلة:

(١) **العلم لا العقل:** لنفترض أن هناك مجموعة من المهندسين في صحراء وبعيد عنهم بمسافة ثلاثة كيلومترات شجرتين متباعدتين وحاول كل مهندس بعقله الشخصي تقدير المسافة بين الشجرتين فأحدهم قال أنها عشرة أمتار والثاني قال إنها خمسة عشر متراً والثالث قال عشرين والرابع قال ثلاثة وعشرين ولاشك أن المسافة ستبقى مجهولة إذا اعتمدنا في قياسها على عقول المهندسين حتى لو كانوا خبراء وسيستطيع طفل عمره عشرة سنوات قياس المسافة بمقياس المسافات وسيكون ما وصل إليه هو الحقيقة التي تسحق كل أراء وعقول المهندسين فالطفل احتكم للعلم واليقين والمهندسين احتكموا إلى الرأي والظن والعقل فنحن فعلاً نحتكم إلى العلم لا العقل ونحتكم إلى المسطرة العلمية المادية لا العقل المتخصص فالعقل أوصلنا إلى طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج وإلى استخدام مقياس للمسافات ولكنه لا يوصلنا إلى الحقائق المادية مباشرة ولو كنا نحتكم للعقول في العلم المادي لما وصلنا إلى كثير جداً من الحقائق المادية بل لما كان هناك علم مادي في الكيمياء والفيزياء والطب والهندسة... إلخ

(٢) **تناقض العقول:** إذا احتكمنا للعقول الشخصية في العلم الفكري المتعلق بوجود الله وصفاته ومعاني الحرية والعدل والمساواة... الخ فستعطيننا العقول أراء كثيرة متناقضة حول كل شيء كما حدث مع عقول

المهندسين فعقول ستدافع عن الإيمان وأخرى عن الإلحاد وثالثة عن الزندقة وكذلك الأمر في المعاني المتناقضة للحرية وغير ذلك فلابد إذن أن نحتكم للعلم الفكري لا العقل حتى نصل للحقائق ونبتعد عن الآراء المتناقضة وإذا تكلم العلم المادي والفكري تسكت العقول أما إذا لم يكن هناك علم فسيعلو صوتها وستتجادل إلى الأبد وهذا ما حدث مع العقول العلمانية الرأسمالية حيث خرجت من هذا المأزق بالاحتكام للتصويت والأغلبية لا العقل أو العلم الفكري والفلاسفة هم من استخدموا عقولهم الشخصية وبها أخذوا يحكمون على الأمور ومع أن كثير منهم قرأ الكثير من الكتب وناقش كثير من الناس إلا أنهم لم يستطيعوا أن يصلوا للعلم الفكري ولم يتفقوا على حقيقة فكرية واحدة سواء تتعلق بصفات الله أو بمعنى صحيح للحرية أو لحقوق زوجية بل حتى لم يتفقوا على رأي واحد وكل فيلسوف كانت لديه مبرراته أو اقتناعاته ودافع عنها وانتقد من يخالفها ومن المعروف أن العقل المجرد يستطيع أن يمدح كثيراً من الأمور أو يذمها فتجد من يمدح الحرب أو البخل أو الزنا أو النفاق وتجد من يذمهم والخلل ليس في العقل بل في استخدامه بطريقة مباشرة أي الطريقة العلمانية الفلسفية. ولهذا قال باسكال بلير "الفلسفة لا تستحق ساعة تعب" وقال "التفلسف الحقيقي هو الهزء من الفلسفة" [١] قال ذلك لأن هذا الطريق لا يوصل للعلم الفكري.

(٣) العقل الضال: استغل بعض الفلاسفة وبعض العلمانيين ضياع العقل المجرد لأنه يعطي آراء متناقضة ويستطيع أن يمدح ويذم كثير من المبادئ فأخذوا يذمون بعض عقائد أو أحكام الإسلام كأن العقل السليم يرفضها فأخذوا ينتقدون بعض الحقوق والواجبات الزوجية وأخذوا يذمون الجهاد ويعتبرونه إرهابا ويذمون العفاف ويعتبرونه كبتاً ويذمون الإيمان ويعتبرونه

(١) ص ١٢٨ المقدمة في فلسفة الدين الأستاذ أديب صعب

سطحية وسذاجة... إلخ والحقيقة أن العقل السليم يؤيد كل عقائد وأخلاق وأحكام الإسلام فالعقل يقول أن الله سبحانه وتعالى قادر على إحياء الموتى وبعث الناس وقادر على أن يخلق ما يشاء وبأي صفات وهو قادر على نصرة المؤمنين وهزيمة الكافرين... الخ ويكفي أن هؤلاء الزنادقة يعترفون أن اتهاماتهم آراء وليست حقائقاً لأنهم لا يؤمنون بوجود حقائق فكرية بكلمات أخرى هم يقولون أن كل مبادئهم واتهاماتهم لا يساندها العلم ومع هذا يستخدمونها لبناء دولتهم وحياتهم الشخصية ويستخدمونها لتشويه الإسلام.

(٤) لنتبع العقل السليم: ألم يقل العقل السليم أن لهذا الكون العظيم خالق؟. ألم يقل العقل وتثبت الأدلة أن هناك أنبياء أرسلهم الله؟ وهذا أمر اقتنعت به عقول أغلبية البشر ألا يقول العقل أن هذا الخالق لم يخلقنا عبثاً لأنه حكيم وعليم وعظيم؟ ألا يقول العقل أن فضل الله علينا أكبر من فضل أمهاتنا وآبائنا وأوطاننا والناس؟ ألا يقول العقل أن واجبنا أن نبحث عن الدين الصحيح ونلتزم به لا أن نفصله عن الدولة والحياة؟ وهذه الحقائق الكبرى هي التي يدعو لها الدين الصحيح أما العلمانية فتقول الإيمان بالله قضية هامشية ولا يوجد عندها جواب لماذا خلقنا الله؟ وتقول تمتع بحياتك كيف تشاء فأنت حر ولا تهتم بطاعة الله بل أطع ما يقرره الشعب حتى لو عارض ما أمر الله به وتعتبر الزنا حرية شخصية ولا تريد العلمانية أن يرى العقل الله والكون والحياة بل تريده أن يرى الدولة والسياسة والاقتصاد والشهوات والأفلام والموسيقى والسياحة...الخ. فإذا كان الله سبحانه وتعالى لا علاقة له بالسياسة والدولة بل كل فرد يتبع ما يقنعه عقله فعلى أي شيء يتم الحساب يوم القيامة هل فقط على الصدق والكذب وبعض المواضيع ومن بديهيات العقل أن المحاسبة بناء على ما هو مطلوب

وما هو مشروع وينطبق هذا على المحاسبة في التعليم والوظيفة والحياة العامة، نعم أنت حر أن تلتزم بالعقيدة الصحيحة والشريعة الصحيحة أم لا ولكن ما يطلبه الله من الإنسان واضح ومحدد.

(٥) مقاييس فكرية خاطئة: كل عقل شخصي علماني لأنه يفتقد للعلم الفكري فيقيس الأمور من خلال مقاييس خاصة به قائمة على الظن فالأول سيقيس معاني الحرية أو العدل أو العقوبات السياسية أو غير ذلك بمقاييس الإيجابيات والسلبيات والآخر بالعادات والتقاليد والثالث بنصيبها من مصلحة الفرد والرابع بنصيبها من مصلحة الجماعة والخامس بمقاييس الجديد والقديم والسادس بمقاييس الأغلبية والسابع يتعلم الحياة من خلال تجاربه الشخصية وهذا مقياس شديد الفشل لما فيه من ثمن باهظ والمهم أن هذه المقاييس وغيرها باعتراف العلمانيين ليست مقاييساً صحيحة حتى لو كانت صحيحة في بعض الحالات فهم احتاروا في معرفة المقياس الذي يحدد لهم الحق من الباطل والصواب من الخطأ في الأمور الفكرية والطريف أنهم يحتكمون لعقولهم ومقاييسهم مع اعترافهم بعجزها والأسوأ من ذلك أنهم لا يعتبرون ضياعهم وعجزهم وتناقضهم حول كل شيء حتى وجود الله سبحانه وتعالى هو جهل. والجهل هو إعطاء إجابات متناقضة حتى لو كانت هذه الإجابات من كبار الفلاسفة ولو كانوا أهل علم لكانت لهم إجابات محددة وفكر محدد المعالم ولنلاحظ أن العلمانيين والليبراليين يرفضون كل بناء فكري سواء كان دينياً أو علمانياً وفي نفس الوقت لا يقدمون بديلاً بل كلمات جوفاء مثل اتبعوا العقل وتهرب العلمانية من وضع منهجاً فكرياً متكاملاً مبنياً على العقل لأن مثل هذا سيكشف جهلها وعجزها فهي تتعامل بالتجزئة ولا تحرص أن يكون هناك تكاملاً بين الأجزاء الفكرية فالعلمانية ليست فكراً متشابهاً بل كل علماني

عنده مبادئ مختلفة عن العلماني الآخر وهم يتفقون فقط على فصل الدين عن الدولة فالتناقض والاختلاف هو دليل الضياع والجهل فالعقول السليمة لا تعطي أبداً مبادئ متناقضة أما العقول الضائعة فتفعل ذلك.

(٦) **أين العقل؟**: عندما يتكلم العلمانيون عن العقل كأن هناك شيء محدد اسمه العقل نذهب إليه ويعطينا الإجابة الصحيحة والحقيقة أن العقول هي بعدد البشر الطبيعية أي عندنا مليارات العقول فإلى أي عقل منها نحتكم؟ ولم تتفق عقول العلمانيين حتى على جزئية فكرية اللهم إلا فصل الدين عن الدولة مع اقتناعهم أن هذه ليست "حقيقة" لأنهم لا يؤمنون بوجود حق وصواب في الفكر وتم حل التناقض عند العلمانيين بدعوة كل فرد ليتبع عقله الشخصي وهذا ليس حلاً فالحقائق ليست فردية بمعنى أن الفرد لا يصنع علماً خاصاً به فالعلم عام والرأي خاص وإذا كانت العقول العلمانية مجتمعة عجزت عن الوصول للحق هل سيصل العقل الفردي له؟ فغليان الماء عند مئة درجة مئوية في الظروف الطبيعية حقيقة علمية حتى لو لم تكن هناك عقولاً بشرية وهي حقيقة ليست بالنسبة إلى فرد واحد أو مجموعة أفراد. فالعلمانية تقول كلنا ضائعون يا بشر وليقرر كل فرد منكم ماذا يفعل بحياته الشخصية؟ وعليه أن يتحمل المسؤولية أما في الحياة العامة فسنحتكم للتصويت الذي نعلم جميعاً ما فيه من أهواء وعصبيات عرقية وتعصبات فكرية ومصالح ووعيد وتهديد فهم يحتكمون للتصويت لا للعقل.

(٧) **فكر وعقل وواقع**: لا يكتفي الإسلام بأن يكون عندنا علم فكري (القرآن والسنة) وأن نسانده بالعقول بل يضيف إليها أهل الاختصاص من علماء الإسلام وعلماء السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد ويضيف له الحرص على الأمانة العلمية ويضيف له الخبرة ويضيف له المعلومات الصحيحة عن حدث

سياسي أو مشكلة اجتماعية أو غير ذلك ويضيف له التفكير والنقاش والصبر والشمولية. فنحن نبدأ بعلم فكري يربطنا بالله سبحانه وتعالى وصفاته ولماذا خلقنا؟ وسننه وشريعته ثم بعلم العلماء المتخصصين وخبرتهم في العلم الفكري والعلم الاقتصادي والسياسي ثم بالمعلومات الصحيحة عن الواقع وما فيه من تشعبات وتناقضات ومصالح ومفاسد وما فيه من خبرات متراكمة ثم يدخل النقاش والتحليل والتفكير والصبر حتى نصل إلى الحق أو ما نعتقد أنه حق في قضايا اجتهادية فكرية أو في قضايا واقعية وتجميع كل ذلك هو الاجتهاد الإسلامي الذي يرشد حركة الدولة وحركة الفرد في حين أن الفرد العلماني على مستوى حياته الشخصية يحتكم إلى عقله الشخصي فقط فلا علم فكري صحيح عندهم وهناك ضعف في الخبرة في الحياة وهو يرى المتخصصين في علم الاجتماع العلماني أو غيره متناقضين ولهذا سيبقى كل علماني ضائعاً ومقتنعاً بآراء خاطئة ولهذا يتخبطون في حياتهم الشخصية ويقعون في كثير من الأخطاء ويعانون كثير من الآلام وتوضح الإحصائيات الاجتماعية في الدول الغربية العلمانية الشقاء الذي أنتجته العلمانية في حياتهم.

(٨) **العقل المجرد أرقى من مبادئ خاطئة:** لاشك أنه توجد أنواع من "المبادئ" الفكرية ليست علماً فكرياً فهناك أديان سماوية حدث في بعض جوانبها تشويه وتغيير وهناك عقائد تظن أن النجوم تضر أو تنفع أو أننا أبناء الشمس أو تعبد القبور أو عقائد علمانية متطرفة في أفكارها كالشيوعية والوجودية والنازية فلا شك أن العقل المجرد أرقى منها ولاشك أن الإسلام يرفض هذه المبادئ ويعتبرها جهلاً وضياعاً وقال ذلك قبل أن تقوله العلمانية بحوالي ألف سنة كما أن معرفة العقل المجرد أن الكذب والسرقة رذائل وأن بر الوالدين والصدقات من الفضائل أمر لا يكفي لبناء حياة الفرد أو الدولة فالعلم الفكري أكبر من ذلك بكثير ويشمل صفات الله وأسماءه ولماذا خلقنا؟ والمعاني الصحيحة للحرية والعدل... إلخ.

خرافة الفكر الحر

قال الأخ عبد اللطيف الدعيج بتاريخ ٣١ مارس ٢٠٠٧ في جريدة القبس «أعتقد أن تكالب جماعات التخلف والتشدد الديني على الوطنية والديمقراطية والليبرالية يجب أن يشجع القوى الوطنية الحقيقية على التحرر الكامل من قيود ومواريث الأمس والبدء في الانحياز إلى التحرر والانعتاق من قيود التقاليد القديمة والعادات التي تكبل حركة وحرية الناس يعني بوضوح مطلوب طرح فكراً ونشاطاً «حراً» لا يبني أحكامه ويحدد مواقفه بناء على المعتقدات والمواريث أو حتى الخبرات أو التجارب الجاهزة... فكر ينظر إلى الناس كما هم لا كما يتمنى أن يكونوا» وأقول تعليقاً على هذا الكلام ما يلي:

(١) لا يوجد تكالب من القوى الإسلامية على الليبرالية فكتابة مجلة إسلامية أنها تؤيد الليبرالية الاقتصادية أي تشجع القطاع الخاص ليس تكالباً على الليبرالية من الإسلاميين وليقرأ الأخ عبد اللطيف التاريخ والشريعة الإسلامية ليعرف أن لدينا ليبرالية اقتصادية وأغنياء وملكية خاصة وأنها جزء من فكرنا الإسلامي أما الوطنية فلا يجوز لك احتكارها إلا إذا كانت ملكية خاصة لك وأفهم أن يحتكر فرد فكر أما أن يحتكر وطن في حديثه مع أبناء وطنه فهو أمر مرفوض جملة وتفصيلاً فهو في أحسن أحواله عنصرية بغيضة فما بالك بأسوأها. أما الديمقراطية فقد أيدها الإسلاميون في الكويت وغيرها وهي أثبتت نجاح الإسلاميين وخسارة الليبراليين.

(٢) قال الأخ عبد اللطيف «التحرر من قيود التقاليد والعادات التي تكبل حركة وحرية الناس» وأقول أن غربة الأخ عبد اللطيف الطويلة في أمريكا

وبعده عن الواقع الكويتي والعربي بصورة عميقة وشمولية تجعله يخطئ في قراءة الواقع وبإمكانه أن يسأل مئة عقل عربي حكيم ومصلح وسيقولون له أن تخلف واقعنا ليس سببه التمسك بالعادات والتقاليد أو الإسلام بل سببه فساد النوايا أو الذمم والجهل والتفرق والكسل والعصبيات العرقية والحسد والمصالح الشخصية والأنانية وبعض الأنظمة المستبدة والاستعمار العلماني المباشر والغير المباشر... إلخ والإسلام يدعو لعكس ذلك وما قلته يعرفه من عاش في واقع الأمة الفكري أو السياسي أو الاقتصادي أو الإداري أو الاجتماعي قال أحد مثقفي مصر «إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح» ولاشك أن في هذا مبالغة ولكن يعطي جزء كبير من حقيقة الواقع.

(٣) ما هو الفكر الحر الذي يريده الأخ عبد اللطيف؟ وهل يوجد فكر حر أصلاً؟ ما أعرفه أنه يوجد فكر إسلامي أو مسيحي أو رأسمالي أو شيوعي أو اشتراكي أو غير ذلك وما علاقة الفكر الحر بالله سبحانه وتعالى؟ أو كتبه ورسله؟ وما هي أسس هذا الفكر الحر السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟ ومن هم مفكريه وكتبهم؟ والطريف أن هذا الفكر الحر إذا حدد ملامحه يصبح فكراً ليس حراً إلا إذا كان فكراً فارغاً لا شيء فيه ولا توجد دولة في العالم بلا فكر سواء كان فكراً صحيحاً أو خاطئاً تبني عليه دستورها وقوانينها ومواقفها وهذا ينطبق على الأفراد أيضاً ولاشك أن الحرية كلمة جميلة ولكن من التزوير الفكري أن تقول أن هناك فكراً حراً.

(٤) قال الأخ عبد اللطيف في جريدة القبس بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٠٢ «ليس هناك ثوابت في الفكر الليبرالي» ولا وجود لقيم و«ثوابت» يمنع تجاوزها أو انتقادها فكل شيء يخضع للنقاش وكل شيء قابل للتعدد وكل شيء عرضة

للتطوير أو حتى الزوال» وأقول عدم وجود ثوابت في الفكر الليبرالي يعني لا يوجد فكر ليبرالي فالليبرالية ليست فكر بل أداة نقاش ونقد وبكلمات أخرى لا توجد حقائق (علم) في الفكر الليبرالي ولهذا فهي عرضة للتطوير أو الزوال وهذا عيب وليس ميزة. فكل شيء في هذا الفكر يمكن أن يتغير هذا بافتراض أن هناك فكراً أصلاً فالفكر الليبرالي له ملامح معينة في فترة معينة ثم بعد عشر سنوات أو أكثر تتغير بعض ملامحه أو كلها ويكون اسمه فكراً ليبرالياً. وميزة الفكر الحر أي الخواء الفكري أنك تستطيع نقد فكر الآخرين دون أن يستطيع الآخرين نقد فكرك لأنه ليس فيه ثوابت أو حتى أراء دائمة يمكن نقدها فمثل ذلك مثل صوت مجهول ينتقد الطويل والقصير والجميل والقبيح والسمين والضعيف والرشيق «فلا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب» وفي نفس الوقت لا يظهر نفسه للناس فلا يستطيعون نقده والفكر الحر هو فكر بلا مبادئ فالملتزم به ملتزم بلا شيء ولهذا من السهل أن يتأثر بالبيئة المحيطة أو بالعصبيات العرقية والحزبية أو بالشهوات والأهواء أو بالانفعالات كالغضب والانتقام والحزن... إلخ فلا توجد مبادئ يلتزم بها.

(٥) يعرف الجميع أن البشر مختلفون في عقائدهم ومبادئهم فهذا مسلم وهذا مسيحي وهذا رأسمالي وهذا شيوعي... الخ والقاعدة في التعامل مع الاختلافات من الجميع تقريباً هي ترك الأفراد وحرية اعتقادهم وفكرهم وعبادتهم والاهتمام بالسيطرة الفكرية على الدولة والسياسة والقوانين وأحياناً السيطرة السياسية أو العرقية أو الشخصية أو غير ذلك. وتقول العلمانية الرأسمالية لنتفق على الديمقراطية وحرية الرأي وأهمية القطاع الخاص وهذه أمور لا اختلاف حقيقي بين البشر حولها وتضيف لها العلمانية محاولة إقناع الناس بأنها حل وسط فهي ليست لها هوية

فكرية محددة وهي ستحتكم إلى تصويتكم حول أي قضية فكرية أو واقعية وأقول الحل العلمي للاختلافات ليس هو الحل الوسط فكل صاحب فكر يرفض هذا الحل لأن عقله أوصله أن العلم والحق هو في فكره والحل العلمي أن نتناقش ونتحاور حتى نصل إلى الفكر الصحيح أي نحتكم إلى العقل والأدلة العلمية والطريف أن "الحل الوسط" هو "الحل العلماني" أي أن العلمانيين فرضوا فكرهم على فكر ومبادئ الآخرين بطريقة ذكية ورفضوا في نفس الوقت حكم العقل والعلم. والحل الوسط الفكري مهزلة فكرية لأنه خليط فكري غير متجانس في فلسفة الدولة وقوانينها والحل الوسط الفكري يكون مهزلة فكريةٍ وسياسية إذا كنا نتكلم عن واقع أمة وشعوب قررت منذ خمسة عشر قرناً وأكدت ذلك كل يوم أن فكرها هو الفكر الإسلامي لأن نسبة المسلمين هي أكثر من ٩٠٪ فلا توجد مشكلة فكرية أصلاً وهنا تكفر العلمانية بالديمقراطية والواقعية وحرية الشعوب وتصر على فرض العلمانية حتى ولو بدعم من دول أجنبيةٍ استعمارية وقد حدث نقاش في جامعة الإسكندرية وبعد أن تم قطع شوطاً في النقاش قام فرد يدافع عن العلمانية أي عكس الاتجاه الساحق للأساتذة والطلبة في الجامعة فقال الدكتور طارق البشري للدكتور محمد سليم العوا "سيبوه لي" أي اتركه لي فقال الدكتور طارق للمئات الموجودين في القاعة من منكم يؤيد "ما قاله هذا فليقم أو ليرفع يده" فما فعل ذلك إلا فردين والحقيقة أن العلمانية فكر شاذ وغريب ومرفوض وعدو لإرادة الشعوب المسلمة وتأثيره القوي هو فقط في نشر الفتنة وتشويه العقول والمخلصين وهدم الإنجازات وصناعة اليأس.

(٦) قد يرى البعض في عبارة الأخ عبد اللطيف «الفكر الحر ينظر إلى الناس كما هم لا كما يتمنى أن يكونوا» نوعاً من التسامح والحنان والرحمة

وأقول أرجو أن تتذكروا أن الفكر العلماني يريد الدولة والساحة السياسية والتشريعية والحكم والدستور والقانون ثم بعد ذلك يعلن تسامحه ورحمته في ترك الناس لعقائدهم وعباداتهم وأحكامهم في الزواج والوفاة أي هو فكر يقاتل كل فكر آخر ولا يقبل للناس فكر سياسي أو اقتصادي يخالفه كما قال وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد «لا نريد دولة إسلامية في العراق» ولاشك أن من الحرية أن تختار الشعوب ما تريد من أنظمة فكر ودساتير ومبادئ فالله سبحانه وتعالى أعطى البشر الحرية في أن يؤمنوا أو يكفروا وأن يطيعوا أو يعصوا والغريب أنهم يرفضون حرية الشعوب ويقبلون في نفس الوقت أن تكون حرية الفرد بلا حدود حتى لو كانت حرية الفسق وحرية الكفر بالله تعالى وحاربت العلمانية الرأسمالية الشيوعية العلمانية المتمثلة في الاتحاد السوفييتي بكل الوسائل العسكرية والاقتصادية والنفسية حتى أفقرتهم أو كانت إحدى عوامل فقرهم. أما الأخ عبد اللطيف فهو من أكثر الناس رفضاً لقبول الناس كما هم عليه بدليل نقده المتواصل بمناسبة وبدون مناسبة للإسلاميين فيتهمهم بالتخلف والرجعية بل حتى لم يسلم الليبراليون الكويتيون من نقده بل لا يعتبرهم ليبراليين حقيقيين فهو آخر من يحق له أن يتكلم عن قبول الآخرين.

(٧) أحد أساليب العلمانية أنها تتلاعب بالألفاظ والمسميات حتى صار الجهل يحمل اسم الفكر الحر وهذا ليس غريباً فقد تم تسمية أمريكا وبريطانيا وفرنسا بالعالم الحر مع أنهم دولاً استعمارية وتحالفوا مع الاتحاد السوفييتي الشيوعي في القضاء على ألمانيا النازية وبعد أن تقاسموا أوربا معه وصفوه بالاستبداد والظلم وقاسى العالم ولا يزال من شرهم أضعاف ما قاسى من ألمانيا وحتى الاتحاد السوفييتي الذي حاول مساعدة العمال والفلاحين والفقراء في حين أن الغرب يفكر فقط بمصالحه وهو يريد أن

تسلط الأضواء على ما يفعله داخل دوله لا ما يفعله خارجها من شر، فكم حاصر من دول وكم حارب من دول وكم استنزف من خير وثروات الشعوب؟ وكم استعمر بطريق مباشر وغيرٍ مباشر؟ وكم انتهك حقوق إنسان؟ وكم ساند من أنظمة فاسدة؟ فهو فعلاً حر في أن يظلم ويقتل وينهب ويكذب بإعلامه القوي.

(٨) ما أعرفه عن الأخ عبد اللطيف أنه يدافع عن العلمانية والقطاع الخاص والحرية الزائدة فليقل أن الفكر الحر هو الفكر العلماني الرأسمالي فلا داعي للاختباء حول مصطلحات وعبارات مثل الليبرالية والتحرر والنظر إلى الناس كما هم لا كما نتمنى والتحرر من قيود التقاليد والمعتقدات والعلمانية الرأسمالية فكر له ملامحه ويمكن نقده وتطرقت لذلك في كتاب عجز العقل العلماني وكتاب العلمانية في ميزان العقل وغير ذلك وحتى تكون الصورة واضحة أطلب من الأخ عبد اللطيف أن يجيب عن هذه الأسئلة هل الليبرالية والفكر الحر الذي يدافع عنهما مدرسة من مدارس العلمانية أم لا؟ وإذا كانوا فكرين مختلفين فما أوجه التشابه والاختلاف بينهما؟ ومن هي الدول الليبرالية في العالم؟ ومن هي الأحزاب الليبرالية في العالم العربي؟

لم يقل العقل ذلك

من الأخطاء الفكرية الكبيرة في فهم الدين والحياة هو النظرة الجزئية للأمور فهذا يسبب خلل في فهم التوحيد والجهاد والعبادة والمعاملات والزواج وتربية الأبناء وفهم الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ويهمني هنا تسليط الضوء على الاستشهاد بالعقل بصورة جزئية كما تدعو العلمانية كأن يقول سياسي علماني «إن العقل يدعو لمسايرة القوى العظمى» وأقول إن العقل يقول إن الله سبحانه وتعالى أقوى بكثير من القوى العظمى وقادر على تدميرها في أقل من ثانية واحدة ومن بديهيات العقل والإيمان أن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يحميك من أمريكا مثلاً ولكن أمريكا لا تستطيع أن تحميك من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة أما من جانب النفع فالأمر كذلك أيضاً فالله سبحانه وتعالى هو من يملك عافيتك وهو القادر على تحقيق سعادتك النفسية وصحتك الجسدية وهو القادر على أن يرزقك بالأبناء ويحميك من حوادث السيارات وغيرها وأمريكا تقف أمام هذه الأمور وغيرها عاجزة بل لا تستطيع أن تضمن الصحة والحياة لرئيسها مع أنها أفضل دولة في الطب وعموماً فالعقل الذي ينظر نظرة شمولية ولا ينسى وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وقدرته وسننه هو عقل بدأ بداية صحيحة ورتب أولوياته بطريقة صحيحة أما العقل الذي ينظر للأمور نظرة جزئية فيرى النفع والضر عند دولة أو حاكم أو مدير أو مدرس أو عدو أو صديق فقد انطلق من حسابات خاطئة وأوهام علمانية وليت العقل يتأمل في الماء الذي نشربه وسيقول أن الله سبحانه وتعالى الذي خلقه والله سبحانه تعالى الذي خلق الأمطار والبحار وأن دور الإنسان في وصول الماء لنا محدود وسيقول العقل أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنعم علينا بالطعام لأن دور الإنسان في زراعته محدود فالمزارع يضع البذور ويسقيها أما

من يخلقها فهو الله سبحانه وتعالى وإذا أدركنا هذا ندرك جهل العلمانية حينما أخذت تنظر إلى حقائق جزئية وأحياناً ظنون وسراب ثم تقول أن العقل يقول أن الصحيح هو كذا وكذا في الحرية والعدل والحياة السياسية والشخصية... إلخ والعقل لم يقل ذلك بل قال إن وجود الله سبحانه وتعالى هو أهم قضية وقال أن الدين الصحيح هو المبادئ الصحيحة وليس كما تقول العلمانية إنه قضايا ثانوية أو هامشية مجالها الحياة الشخصية.

استرحت إن كان هذا عقلك

قال أحمد بن داوود الواسطي: دخلت على أحمد بن حنبل قبل الضرب فقلت له في بعض كلامي: «يا أبا عبد الله عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور» كأني أسهل عليه الإجابة.فقال لي أحمد بن حنبل: «إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد، فقد استرحت» وأقول حمل المبادئ الصحيحة مسؤولية ثقيلة ومتعبة وتعرض صاحبها للمشاكل والأخطار فهو يقف مع التوحيد والمؤمنين ضد الشرك والكافرين ويدافع عن المبادئ الاجتماعية أمام الوالدين والزوجة والأبناء والأقارب ويدافع عن المبادئ في الساحة السياسية وما فيها من قوى وأحزاب ودول وأحداث وهكذا فالمبادئ مسؤولية عظيمة أشفقت منها الجبال قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾ الأحزاب (٧٢) والتمسك بالمبادئ يجعل الإنسان سعيداً في الحياة الدنيا حتى لو خسر أهله وأقاربه وماله وأمنه. ولو تأملنا المبادئ العلمانية لوجدناها قليلة فأنت على المستوى الشخصي حر وعلى مستوى الدولة ملتزم بالقوانين وبالتالي فالمسؤوليات التي عليك قليلة وإذا أقنعك عقلك أنك حر في مالك فأمنعه عن الفقراء بل بذره كما تشاء كما يفعل كثير من الأغنياء حيث يبذرونه على المسكن والملبس وأحياناً الشهوات... الخ وإذا أقنعك عقلك أنه ليست عليك واجبات نحو الفقر والمرض والجهل في وطنك والعالم وأن الإصلاح هو مسؤولية الحكومات والأمم المتحدة وأن مسؤوليتك تقتصر على أن تؤدي عملك بأمانة وتهتم بأسرتك فإن كثيراً من الهموم الوطنية والقومية والعالمية لن يكون لك دور فيها ومثل هذا يمكن أن يقال على الواجبات والمسؤوليات نحو الوالدين والزوجة والأبناء والإخوة والأقارب وأنت من يحدد مفاهيم البر والعقوق وسيجد لك عقلك الأعذار فأنت مشغول

وتبني مستقبلك ويكفي أن تزور والديك كل سنة مرة أو مرتين حتى لو كانوا في مدينة قريبة كما يفعل كثير من الغربيين.

أما المؤمنين كالإمام ابن حنبل فقد أقنعتهم عقولهم بأن مصالحهم الشخصية تتحقق إذا التزموا بالقرآن والسنة وعلموا أنها أمانة عظيمة فأتعبوا نفوسهم وأجسادهم في علم وتعليم وعبادة وجهاد وصدقات وصبر وتواضع ونصيحة... إلخ بل لا مجال في الإسلام لليأس واللامبالاة ناهيك عن المعاصي والانحرافات وهي أمراض هائلة انتشرت بين الناس فقد عاقب الله سبحانه وتعالى يونس عليه السلام لأنه يأس من إيمان قومه فترك الدعوة وظن أن الله لن يعاقبه قال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ الأنبياء (٨٧)

وإذا أضفنا إلى ذلك أن العلماني هو الذي يصنع مبادئه بنفسه وقد يقتنع بمبادئ قليلة جداً وسواء كانت قليلة أو كثيرة جداً فهي آراء تحتمل الصواب والخطأ وهو حر في في أن يلتزم بها أو يرفضها لأن عنده الدين هو عقائد فردية وعبادات لا علاقة لها بالمال والربا والإصلاح السياسي... إلخ ولن يحاسبه أحد لو بذر في ماله أو بخل فيه أو تخلى عن قضايا الإصلاح السياسي وهذا وغيره يؤدي إلى إغلاق أبواب كثيرة للخير وفتح أبواب كثيرة للشر فهل هذا هو ما يدعو له العلم والعقل السليم؟

لا للأهداف الجميلة

يرى بعض الليبراليين أن الليبرالية ليست عقائداً أو فكراً محدداً بل هي أهداف عامة «جميلة» مثل التسامح في اعتقادات الناس وتقبلهم كما هم عليه ما داموا يلتزمون بنظام المجتمع وقوانينه وهي حرية الرأي والحوار والكتابة وهي تطبيق القوانين على الجميع وهي تكافؤ الفرص في المناصب والتوظيف والترقيات بغض النظر عن العقيدة والطائفة والمذهب والعرق وهي التعامل مع الناس على أساس كفاءتهم وأمانتهم لا على أساسٍ دينهم وطائفتهم وأقول إذا كانت الليبرالية هي هذه الأهداف الجميلة فأهلاً وسهلاً بها ويأمرنا الإسلام بذلك بل أكثر منه بكثير ولكن الأهداف الجميلة ليست فكر ومبادئاً وبالتالي لا تصلح لبناء فرد ناهيك عن الأسرة والدولة ولم يختلف البشر حول الأهداف الجميلة بل اختلفوا حول المبادئ والعقائد التي تحققها هل هي المبادئ الإسلامية أو المسيحية أو العلمانية الرأسمالية أو العلمانية الشيوعية أو غير ذلك؟ والتعريف الذي تم ذكره لليبرالية ليس فيه فصل الدين عن الدولة الذي هو العمود الفقري للعلمانية وأنبه هنا إلى أن العلمانية كثيراً ما توهم الناس بأن الأهداف الجميلة تكفي وحدها أو أنها والعلمانية وجهان لعملة واحدة ولهذا نجدها تقول أن مبادئها هي الحرية والعدل والمساواة وأحياناً نقول أنها قائمة على الاعتدال والتسامح أو أنها مبدأ واقعي وعملي أو أن العلمانية تعني العملية والعقلانية والعلم أو تعني الديمقراطية وحرية الرأي والقطاع الخاص وهذا كله غش فكري لأنه لا خلاف بين البشر على الواقعية والاعتدال والحرية والعدل والديمقراطية... إلخ ولكن الاختلاف بينهم هو حول ما هو العدل؟ وما هي الحرية الصحيحة؟ وكيف نعبد الله سبحانه وتعالى؟ وما علاقة الإسلام بالدولة؟ ولماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟... الخ وتعالوا نسلط الضوء

على الأهداف الجميلة من خلال ما يلي:

(١) يقبل الإسلام والدولة الإسلامية الناس على عقائدهم ومبادئهم سواء كانت عقائدهم أدياناً سماوية أو غير سماوية وهذا ما طبقه المسلمون الواعون خلال خمسة عشر قرناً ويقبل الإسلام الفرق الإسلامية ويتعامل معها بواقعية وعدل وحكمة ومصالح مشتركة وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج مع أنهم يكفرونه «هم أحرار ما لم يرفعوا علينا سلاحاً» أي ما لم يتمردوا على الدولة وقوانينها ومن الإسلام أن تطبق القوانين واللوائح على الجميع في التوظيف والمناصب ومكافأة المجتهد ومعاقبة المنحرف دون اعتبار لعقيدة أو مذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ونعم توجد استثناءات فلا يمكن أن يكون الخليفة مسيحياً مثلاً. هذا على مستوى الدولة أما على مستوى الاعتقاد فكل طرف يرى أنه على حق والآخرين على باطل وهذا ينطبق على الأديان السماوية وغير السماوية وعلى العلمانية بمختلف مدارسها والحكم على هذا هو عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) تم تطبيق المبادئ الإسلامية من عدل وحرية وتكافؤ فرص في فترات كثيرة من تاريخنا ووجدت أيضاً انحرافات سببها الجهل أو العصبيات المذهبية أو العرقية أو غير ذلك ووجود الشر والخير حالة بشرية طبيعية في كل شعوب الأرض. لأن الإيمان بالمبادئ الصحيحة (الإسلام) ليس موجوداً عند كل الناس وليس موجوداً دائماً بدرجة قوية وهذا واقع مشاهد في المسلمين وعند أهل المبادئ الأخرى ولم يسلم من الظلم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقد سجن وعذب وحاربت الخلافة العثمانية حركات إصلاحية مسلمة ولكن وجود سلبيات لا يعني أن نلغي ملف دول أو حكومات

أو حكام أو قبائل أو أفراد فالواقعية تتطلب أن نبتعد عن المثالية والأهم ألا نحمل مبادئنا الصحيحة سلبيات ليست هي مسؤولة عنها فلنفرق بين النظرية والتطبيق وهناك بالتأكيد تطبيقات صحيحة كثيرة ومع أن العلمانية الرأسمالية تدعي المساواة فإن الأمريكيين من أصل أفريقي كانوا ولا زالوا هم أقل الأمريكيين مالاً وشهادات علمية ووظائف وكذلك الأمر مع الفرنسيين من أصول عربية في فرنسا.

(٣) الواقع العربي الحالي مع ما فيه من انجازات طيبة والتي كثيراً ما تنسى وللأسف مليء بأصحاب المصالح والعصبيات والأهواء والجهلاء وبه أيضاً أعمال وأفكار وسلوكيات خاطئة تدعي انتسابها للإسلام وهو بريء منها فهناك تكفير خاطئ وهناك تعصب لمذهب وجماعات واجتهادات وهناك متاجرة بشعارات إسلامية ودجل سياسي وهناك شعوذة وخرافات باسم الإسلام وهناك تعامل على أساس الدين والطائفة والمذهب في أمور التوظيف والترقيات والانتخابات وهذه أمور ليست فقط موجودة عند الأغلبية بل أيضاً حتى عند الأقليات الإسلامية وغير الإسلامية. وهناك تطرف عند بعض الجماعات الإسلامية فمن يخالفهم في بعض اجتهاداتهم يتهم بأنه يخالف الدين وهناك اجتهادات خاطئة لعلماء تسبب مزيد من الاختلاف والتفرق وهناك تطرف عند البعض في التعامل مع الأقليات غير المسلمة وهناك فشل وضعف لجماعات إسلامية في التعامل مع قضايا التنمية والتطور والإصلاح والحل لهذه الانحرافات هو الدعوة للالتزام بالإسلام الصحيح كما فعل الإمام علي حيث ناقش الخوارج فرجع كثير منهم لجادة الصواب أما المستجير من الواقع المر بالعلمانية فهو كالمستجير من الرمضاء بالنار لأن العلمانية هي الكفر والضياع والتناقض والجهل ولم ولن يكون لها قبول بين المسلمين.

(٤) قد يقول قائل أن الإسلام لا يحقق الأهداف الجميلة التي تم ذكرها في تعريف الليبرالية والسؤال هو ما هي المبادئ التي تحققها؟ فإن قيل العلمانية الرأسمالية فإن الليبرالية تعني الأهداف الجميلة والعلمانية الرأسمالية معاً وهذا معناه أن الليبرالية أو العلمانية هي أرقى وأعدل وأرحم من الإسلام وفي هذا جهل كبير جداً بالإسلام وبالعلمانية وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبواقع الناس قديماً وحديثاً لأن الإسلام هو رسالة الله سبحانه وتعالى ورفض الإسلام هو رفض للخالق العليم الحكيم القوي الرحيم العادل فالدين الصحيح ليس هو صناعة بشرية أو ميراث تاريخي لأمة أو دولة قال تعالى: ﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (٣٣) سورة الأنعام. كما أنه ليس صحيحاً أبداً أن الإسلام لا علاقة له بالدولة والسياسة فهذا أمر تنفيه الآيات القرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء. والظن بأن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا مبادئ لا تصلح للناس بل تسبب الظلم والتعصب والتخلف والسطحية وهو جهل كبير جداً بمعرفة ما مدى علم الله سبحانه وتعالى مقارنة بعلم البشر كله هذا العلم الذي عجز عن خلق ذبابة في حين أن علم الله خلق كل البشر والكائنات والكواكب والمجرات والعقول البشرية وهو جهل كبير جداً بعدل الله ورحمته وعذابه وقوته وقدرته... الخ ورأينا في التاريخ من يتمرد على أنبياء الله أو يشكك في صدقهم وكفر هؤلاء أقل بكثير من كفر العلمانيين الذين يعتقدون أن لديهم مبادئ أعدل وأرحم مما أرسل الله للمسلمين أو المسيحيين أو اليهود.

(٥) أغلبية الإسلاميين والليبراليين العرب هم مسلمون يقبلون الإسلام كعقائد ومبادئ للفرد والدولة. والمشكلة هي في وجود متطرفين إسلاميين

وليبراليين علمانيين لأنهم يسببون الاختلاف والتناقض فلابد من رفض الإسلاميين المتطرفين من قبل الإسلاميين المعتدلين ورفض الليبراليين العلمانيين من الليبراليين المسلمين ولابد أن يقوم الطرفان بإثبات التزامهما بالإسلام الصحيح عقائداً وأخلاقاً وعبادات وأحكاماً والتركيز على التوحيد والصلاة ولابد من إثبات إيماننا بالمساواة بين المسلمين وغيرهم على مستوى الدولة في التوظيف والمناصب وتكافؤ الفرص ومن الضروري أن يقتنع المخلصون أن بلا حسم لهوية الأمة وفكرها لصالح الإسلام فلن يكون المخلصون قادرين على البناء ولا على مواجهة الأعداء.

أنا لا أمتلك الحقيقة

قال لي صديقي الليبرالي: «لقد عرفت مشكلتك وهي أنك تظن أنك تمتلك الحقيقة» وأقول تطرقت لهذا الموضوع في كتاب «العلمانية تحارب الإسلام» في مقال بعنوان «خرافة لا أحد يمتلك الحقيقة» وسأتطرق له هنا من زوايا مختلفة وهي:

(١) أنا لا أمتلك الحقيقة: أنا لا أمتلك الحقيقة أو الحقائق ولم أقم بصناعة مبادئ خاصة بي وأخذت أدافع عنها وأنا أقول أن وجود الله سبحانه وتعالى حق وهذا ما اقتنعت به الأغلبية الساحقة من البشر وأرشدت إليه العقول وأقول إن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء وهذا ما أثبتته الأدلة العلمية واتفق عليه اليهود والمسيحيون والمسلمون وغيرهم وأقول الحقائق الفكرية هي التي جاء بها الأنبياء وهي موجودة في القرآن والسنة. أما إذا كانت عندي آراء تخالف هذه الحقائق فاضربوا بها عرض الحائط. والقضية يا صديقي ليست آرائي أو آرائك أو اجتهادات علماء الإسلام وكما قال الإمام مالك رضي الله عنه «كل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر» وأشار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم باختصار لا نريد أن نستمع إلى آراء بل نريد أن نبحث عن الحقائق ونلتزم بها أما الآراء الاجتهادية وهي التي لا تخالف الحقائق الفكرية سواء كانت هذه الآراء فكرية أو سياسية أو اجتماعية فيتم حسم الاختلاف حولها من خلال التصويت أو الحلول الوسط أو حسب الصلاحيات الحكومية والشخصية.

(٢) الحقائق والاجتهادات: نعم في الساحة الإسلامية كثيرون يقولون عن اجتهاداتهم وآرائهم وبدون سند صحيح من قرآن أو سنة أنها حق

ويصفون مخالفيهم من المسلمين بالتساهل في الدين أو الضعف أو التشدد أو التطرف أو بالبدع أو بغير ذلك ومن بديهيات الإسلام أن الحقائق الفكرية تقتصر على القرآن والسنة أما ما لا يؤيده آية قرآنية أو حديث نبوي بصورة صحيحة وواضحة فليس بحقيقة فكرية أي هو أمر يحتمل الصواب والخطأ ولهذا اختلف الصحابة في اجتهادات فكرية وقضايا واقعية سياسية واجتماعية واقتصادية وكذلك فعل علماء المسلمين وسياسيهم وغيرهم ومجال الاجتهادات واسع جداً وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه «هذا رأينا من جاء بأحسن منه قبلناه» وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه «رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» ولم يقل علماؤنا ولا سياسيونا أنهم يملكون الحقائق الفكرية في القضايا الاجتهادية والاختلافات الاجتهادية هي ظاهرة طبيعية وصحية ومفيدة. ولاشك أنه كلما زاد علمنا بالقرآن والسنة وسألنا علماء الإسلام سهل علينا معرفة الحقائق الفكرية من الاجتهادات. ولكن لا شك أن الرجوع إلى العلماء وأهل الاختصاص والصلاحيات والخبرة والاجتهاد الجماعي والمبني على معلومات صحيحة وفهم صحيح سيقربنا كثيراً من الاجتهاد الصحيح وستحل كثير من الاختلافات الحالية حول الموقف من الأحزاب السياسية والديمقراطية وحقوق الأقليات وقضايا الحرية والحرب والسلام... إلخ.

(٣) كلنا جهلاء: جاءت العلمانية وأخذت تشكك في صحة "الحقائق الفكرية" الدينية بعد أن ثبت أن العلم المادي يتعارض مع بعض ما تعتبره الكنيسة حقائقاً فكريةً أو ماديةً ثم شككت في صحة كل ما يقول الدين ليس في جانب العلم المادي بل أيضاً فيما يتعلق بالدولة والسياسة والحرية الشخصية وغير ذلك وأوهمت الناس أن التمسك بالدين ينتج التعصب والشر وهذا ليس بصحيح فالدين الصحيح لا ينتج إلا الخير والرحمة

والعدل أما الدين المشوه فهو مرفوض ولأن العلمانية عجزت بعقلها المجرد عن الوصول للحقائق الفكرية قالت يا أيها الناس لا توجد حقائق فكرية كل ما يوجد آراء وقالت أن أصحاب العقائد لا يستطيعون إثبات صواب عقائدهم وهذا بهتان عظيم عندما نتكلم عن الإسلام وشاهد المؤمنون معجزات موسى وعيسى عليهم السلام ولا زالت معجزة القرآن الكريم قائمة تتحدى البشر فاقتناعاتنا وإيماننا بالحقائق الإسلامية لم يأت من باب الوراثة وتصديق الأولين من الآباء والأجداد فوجود الله حق وصدق الرسول حق وقامت الأدلة العلمية على ذلك ووصلنا القرآن وأحاديث الرسول فهي إذن حق وليس هذا مجال التفصيل.

(٤) **أشرقت شمس الجهل:** عجز الفلاسفة قديماً وحديثاً عن الوصول للحقائق الفكرية وصدق سقراط الذي قال «إنني جاهل وأعرف إنني جاهل وأما هم فجهلة ويجهلون أنهم يجهلون» فمن لم يصل للحقائق الفكرية هو جاهل ومطلوب أن يقتنع العلمانيون بجهلهم لأن الفلسفة والعلمانية وجهان لعملة واحدة والطريف أن العلمانيين يقولون عن أنفسهم أنهم لم يصلوا إلى الحقائق الفكرية (العلم الفكري) أي ليس عندهم علم فكري وهذا رأيهم وليس رأيي وفي نفس الوقت لا يقولون أنهم جهلاء ومن هذه حاله ليس من حقه أن يقول أشرقت الدنيا مع بزوغ شمس العلمانية فالتقدم الذي حدث هو في العلوم المادية أما الفكر الغربي العلماني فقد كان ولازال ضائعاً بكل مدارسه ولنتذكر أن الشيوعية والنازية والوجودية كلها مبادئ علمانية وجاءت بعد مئات السنين من انتشار العلمانية أما العلمانية الرأسمالية فهي مع الشر والاستعمار والحروب والكذب والإعلام الفاسد والفاسق والظلم ومن يقرأ الإحصائيات الاجتماعية في الدول الغربية ويرى الأرقام الهائلة للعنوسة والطلاق والأبناء غير الشرعيين والإجهاض

وتعاطي المخدرات وجرائم القتل وغيرها يعلم صدق ما أقول ومن لا يملك الحقائق الفكرية ويعترف بعجزه لا يحق له أن يصنع القوانين والمفاهيم الأساسية والاجتماعية والشخصية ولأنهم فعلوا ذلك وصلوا للشقاء الذي ذكرته وما أقوله لا يتعارض مع صواب بعض أرائهم (وأنها فعلاً حقائق فكرية) كأجزاء كثيرة من الحرية الغربية وأجزاء كبيرة من الديمقراطية وحقوق الإنسان مع أنهم لا يطبقون هذه إلا على شعوبهم.

(٥) إغلاق الطرق إلى الحقائق: الحقائق الفكرية موجودة في القرآن والسنة وجاءت بلسان عربي مبين ومع هذا كأن بين العلمانيين والحقائق الفكرية عداء فيقولون لا نراها فهناك فرق إسلامية وهناك تفسيرات متناقضة في بعض القضايا ولا نجد من نثق بعلمه من العلماء فعندهم كل علماء الإسلام جهلاء أو منافقون أو جامدون أو سطحيون مع أن علماء الإسلام الصادقين هم ورثة الأنبياء فكل طريق يوصل للحقائق الفكرية يغلقونه ويشككون في صوابه بشبهات هزيلة وأقول الحق واضح وسهل الله سبحانه وتعالى وصول الناس له فالقرآن كتاب نقرأه ونفهم كثيراً مما نقرأ لأنه مكتوب بلغة عربية لها مراجعها ومع هذا يقولون الحق غير واضح وحقيقة الأمر أنهم يجادلون عن جهل أو ليست لديهم رغبة في معرفة الحقيقة بدليل رفضهم اتباع القرآن والسنة ويتبعون العلمانية التي ليست لديها كتاب أو نصف كتاب كمرجع وليس لديها علماء بل فلاسفة ومفكرين متناقضون حول كل شيء.

الليبرالية ومشكلة الحرية

كتب الأخ عبد اللطيف الدعيج في مقاله المنشور بالقبس بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٠٧ «ليس هناك أخلاق إلا أخلاق السادة والمهيمنين ومن يسعون إلى تكبيل الغير والاحتفاظ بامتيازاتهم وما استحوذوا عليه» وقال: «ليس من حق القوي المسيطرة، ومن يهوى التسلط والبطش أن يحدد للغير مسؤوليته ويملي عليه سلوكه» وقال: «فمنابر الرأي مهما كانت لم تؤثر ولن تؤثر في يوم في شعور وحس من يعتقد أنها مجرد رأي أو مجرد لغو» وقال: «إذا التزمنا أخلاقياً بعدم الإساءة إلى معتقدات أو موروث أحد فكيف نطرح ما نؤمن به من جديد الفكر والمعتقد» وكان كلامه هذا رداً على الأخ الدكتور احمد الربعي الذي طالب بترشيد ما يكتب في الإنترنت وربط فيه بين الحرية والمسؤولية وتعليقي على ذلك هو في ما يلي:

(١) أتمنى أن يدرك الليبراليون والعلمانيون أن الاختلافات بينهم جذرية في معاني الحرية والعدل والمسؤولية والحقوق والواجبات الزوجية والأخ عبد اللطيف يقول للدكتور الربعي حتى أنت؟ أي لم أتوقع منك هذا الرأي أي لم يكتشف الاختلاف بينهما في حدود حرية الرأي إلا بعد عقود وكلاهما ليس له مرجعية في تحديد حرية الرأي إلا عقله وكم لدى البشر من العقول؟ وكم سيختلفون حول القضايا الفكرية الأساسية إذا احتكموا لعقولهم وليس للعلم الفكري؟ ولأن العلمانية والليبرالية لا تؤمنان بوجود علم فكري (حقائق) في مجال الحرية والعدل والعقائد بل يعتقدون أن كل ما يوجد هو آراء فإن طريق هذا أوله سيكون طريقاً للاختلاف والتفرق والصراع.

(٢) ليس الحل العلمي هو أن نحتكم للشعب أو للجنة تحكيم في المفاضلة بين رأي الأخ عبد اللطيف أو رأي الأخ الدكتور الربعي فهذا حل غير علمي لأن القضية يجب أن يحكمها ميزان فكري صحيح لا عقول بشرية متناقضة تحكم حسب ذكائها وخبرتها بالحياة وتتأثر أراءها بالنوايا والصدق والموضوعية والمصالح والعلاقات الشخصية.

(٣) إذا كان سيتم تحديد الدساتير والقوانين والسلوكيات والأخلاق من السادة والمهيمنين فشيء طبيعي أن يوجهوها لما يظنون أنه يحقق مصالحهم ولو وضعها العمال والفلاحون كما في الدول الشيوعية فمن الطبيعي أن يوجهوها لما يظنون أنه يحقق مصالحهم ولكن لو تم تحديدها من قبل الله سبحانه وتعالى فإنها ستخدم الجميع وستحقق المصالح الحقيقية لا المصالح السرابية والتي يظن كل طرف أنها تتحقق بمقدار ما يكسبون من سلطة أو مال أو شهرة أو لذة.

(٤) علمنا الله سبحانه وتعالى أن هناك حدوداً لحرية الرأي في جوانبها العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية ولا شك أن تأثير الكلام السيىء شديد على النفوس وكم من فتنة اجتماعية وسياسية حصلت بسبب الكلام فتأثير بعض الكلام أشد بكثير من المتفجرات التي تقتل ولا يمكن أن نقول أن العقاب هو على الأفعال لا الكلام ولن يتصرف أغلب الناس اتجاه الكلام السيىء بالذهاب إلى المخافر بل كثير منهم سيرد الصاع صاعين أو يستخدم ما استطاع من قوة وهذا واقع مشاهد وليس صحيح أن عالم السياسة يختلف بل فيه أفراد تضرهم الشائعات والأقاويل والاتهامات وكثير منها باطل وإذا صدق الناس كثيراً مما يقال فمن الطبيعي أن يسيئوا الظن في كثير من أهل السياسة فهذا منافق وهذا ضعيف وهذا صاحب مصلحة

وهذا متطرف وهذا ملحد وهذا متعصب لعرقه أو طائفته وهكذا والمشكلة ليس فقط فيما ينشر بالانترنت بل أيضاً ما يقال في كثير من الدواوين قال تعالى مخاطباً موسى وهارون في أمر فرعون: ﴿اذهبا إلى فرعون أنه طغى ﴿٤٣﴾ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴿٤٤﴾﴾ سورة طه، وإذا كان التعامل مع فرعون الكافر بهذا الإسلوب فلا شك أنه الأولى أن يتم التعامل به بين المسلمين أما إذا كان الهدف الوصول للمناصب والأموال أو الانتقام أو الإحراج أو ما شابه ذلك فقولوا ما شئتم.

(٥) يعرف القاصي والداني أن حجم الحرية بالكويت كبير وكافي ويمكن أن يشهد على هذا مائة عقل حكيم فلا داعي لأن يجعل منها الأخ عبد اللطيف قضية بين فترة وأخرى ويعرف العقلاء أن ليس كل ما يعرف يقال فما بالك إذا أضفنا إلى ذلك الأكاذيب والاتهامات الباطلة والمعلومات الخاطئة ففتح أبواب أوسع لحرية الرأي لن تؤدي إلى مزيد من الإصلاح بل ستجعلنا نحصد مزيداً من الفتن والجروح والتنافر فالفكر والسياسة وحياة الناس ليست ألعاباً لشباب قليلي الخبرة بالسياسة والدين بل والحياة.

(٦) قال الأخ عبد اللطيف "إذا التزمنا أخلاقياً بعدم الإساءة إلى معتقدات أو موروث أحد فكيف نطرح ما نؤمن به من جديد الفكر والمعتقد" وأقول ما أعرفه أن العلمانية التي يدافع عنها الأخ عبد اللطيف تفصل الدين عن الدولة وتبتعد عن تحديد الحق من الباطل في المعتقدات والمبادىء وتهتم بالسياسة والاقتصاد وما أعرفه أن العلمانيين والليبراليين يتهمون الإسلاميين بأنهم ينشرون الكراهية والحقد بين البشر إذا انتقدوا عقائد ومبادىء الآخرين فهم يريدون منا أن نسكت ونجامل الشرك والكفر والخرافات والبدع ولا شك أن الحوار مطلوب بين أصحاب العقائد المختلفة فالعقل لن يعرف طريقه

إذا لم يسمع الأدلة ولكن الفرق كبير بين الحوار والنقد العقلي وبين الإساءة والجدل والاستفزاز وأقول للأخ عبد اللطيف معتقداتكم ليست جديدة بل هي استمرار لمنهج الفلاسفة القدماء أي الاحتكام للعقل الشخصي لا للعلم الفكري وأضيف لا يوجد في المجال الفكري جديد صحيح وقديم خاطئ بل يوجد حقائق (توحيد وعدل وحرية صحيحة) وخرافات وأوهام (شرك وظلم وحرية خاطئة) والصراع بينهما مستمر منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة.

الحرية الليبرالية المسمومة

يدافع كثيراً من العلمانيين والليبراليين عن الحرية المسمومة فلا مانع عندهم من أن تنتقد الذات الإلهية أو تنتشر المجلات الجنسية أو يختار من القوانين ما يعارض ما أمر الله سبحانه وتعالى به فهم لديهم حرية الزندقة والإلحاد وحرية التمرد على أمر الله وحرية الفسق وهذه أمور ليست حرية عقل وفكراً وليست حرية سياسية وفي نفس الوقت ليس لك حرية مخالفة قوانين الدولة وليس لك حرية مخالفة لوائح العمل بل قد تعاقب لو قلت رأيك بصراحة في رئيسك في العمل أو مدير الشركة وقد قيل أيام الثورة الفرنسية «كم من جرائم ارتكبت باسم الحرية» فالحرية التي تكفر بالعقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة وما جاء به الأنبياء من تشريع هي حرية مسمومة لأنها حرية ضد الحق (العلم الفكري) ويستغل الباطل كلمة جميلة مثل الحرية ليحمي أهدافه في تحقيق الكفر والفسق والظلم. وكلمة المساواة جميلة ولكن لها معاني خاطئة ومعاني صحيحة فإذا كنا نقصد بالمساواة المساواة المطلقة بين الناس في رواتبهم ومساكنهم كما كانت تريد الشيوعية فهذه مساواة خاطئة لأنها تنتج الكسل والفقر والظلم وكما قلت مراراً من الأخطاء الفكرية الكبيرة قبول مصطلحات جميلة مثل الحرية والعدل والمساواة بدون تحديد واضح لمعانيها والتي لا يمكن أن نحددها بصورة صحيحة إلا بعد تحديد العقائد والمبادئ الصحيحة فالعدل هو الالتزام بالمبادئ الصحيحة والحرية هي التحرك ضمن ما تسمح به هذه المبادئ والمساواة هي ما حددت مجالاته هذه المبادئ فالجرعة الزائدة من الحرية جرعة قاتلة أو مضرة كما يحدث مع جرعة بعض الأدوية في علم الطب ولو أعطينا علماء المادة والطب الحرية الليبرالية في مخالفة مبادئ (حقائق) العلم المادي لمات كثير من المرضى وسقطت العمارات والطائرات...

إلخ فالأمر ليس فيه حرية بل مبادئ علمية دقيقة يجب أن نتعلمها ونلتزم بها وحتى يتضح جانب من ضلال العلمانية والليبرالية نجد أن دفاعهما الشديد عن الحرية المسمومة على مستوى الأفراد والحياة الشخصية يقابله رفضاً شديداً لحرية الشعوب على مستوى الدولة فهم يرفضون ولو بالقوة النظام الإسلامي أو النظام المسيحي أو غير ذلك بل يحاربون كل نظام يختلف معهم حتى لو كان نظاماً علمانياً كالأنظمة الشيوعية والاشتراكية والنازية حتى لو كانت هذه الأنظمة هي ما اختارته الشعوب بكامل حريتها بل يرفضون أن يكون في نظام الحكم أي جزء مرتبط بعقائد ودين الشعب حتى لو كان الشعب كله مسلمين أو مسيحيين فلا توجد حرية في مجال فكر الدولة أبداً فهم يكفرون بأبسط مفاهيم الحرية والديمقراطية ويحاولون إقناع الناس كما في أمريكا أنهم يفعلون ذلك لأنهم يلتزمون بالدستور والمهزلة أنهم يقولون أن الدستور هو ما يقرره الشعب ولكن إذا قرر الشعب ما يخالف العلمانية فيضرب بحرية الشعب عرض الحائط. فالعلمانية هي اللادينية أي فصل الدين عن الدولة أي الكفر وهذا هو الثابت الوحيد في العلمانية وهو أهم من الديمقراطية وهذا ما فعلوه مع شعوبهم فكيف بالشعوب الأخرى؟ وهذا ما يقولونه علناً لشعوب العالم الإسلامي لا نريد دولة ذات نظام إسلامي ومن يريد تطبيق الإسلام يحارب ويحاصر ويعادي ولكن إذا استسلمت الشعوب للعلمانية ومصالح الغرب فلا مانع أن يبقى الدين موجوداً على مستوى الحياة الشخصية وحتى هذا أخذوا يحاربونه في السنين الأخيرة ولا يمانعون أن تكون هناك حرية رأي فما داموا سيطروا على فكر الدولة وأخذوا مصالحهم فلن يضرهم النقد كما قال المثل العربي «أوسعتهم شتماً وذهبوا بالإبل» والولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر متاجر بالحرية والتسامح والاعتدال والمواثيق الدولية وفي نفس الوقت هي تستعمر الشعوب وتستنزف ثرواتها وتتدخل في شؤونها وتنتهك حقوق الإنسان... إلخ

وهذا أمر تثبته تقارير دولية محايدة وهو واقع يثبت خطورة الفكر العلماني لأن مفاهيمه للحرية والمصالح الوطنية والإرهاب والرقي الفكري هي مفاهيم خاطئة. وأطالب الصادقين من الليبراليين أن يتعمقوا في فكرهم فلا يوجد فكر اسمه فكر ليبرالي ولا يوجد فكر صحيح إلا الفكر الإسلامي وهو فكر ينير لنا الطريق الفكري ويرشد الاجتهادات الفكرية والواقعية ويسمح بتنوعها ويجعل اختلافاتها صحية لا مرضية ولا يوجد تناقض بين الإسلام وبين العلم المادي واقترح عليهم إعدام مصطلحات الليبرالية والليبراليين حتى لا تكون هذه المصطلحات حصان طروادة الذي يدخل منه العلمانيون وأعداء الأمة وحددوا يا ليبراليين ما تريدون من حرية رأي بصورة واضحة وبكلمات واضحة بشرط ألا تتعارض مع الإسلام وستجدون المؤيدين لكم إذا كانت الحرية التي تريدونها حرية صحيحة واحذروا أن تحاولوا تكوين فكراً من خلال مصطلحات غامضة مثل حرية الفرد والحرية مقدسة وحرية الفكر والدولة المدنية... إلخ فهذا ليس فكراً بل في أحسن الأحوال أجزاء فكرية قليلة لا تصلح لبناء فرد ناهيك عن مجتمع. ومن المهم جداً جداً أن تعرفوا أنكم لستم متخصصين في القضايا الفكرية فاتركوا الفكر لعلماء الإسلام فهم أهله وقد غرق في محيطات الفكر الفلاسفة والعلمانيون وأصحاب الأديان المشوهة وغيرهم ولن تستطيع العقول البشرية المجردة الوصول للفكر الصحيح إذا لم تتبع ما جاء به الأنبياء لأنه وحده الفكر الصحيح وما خالفه هو فكر ضال حتى لو استخدم مصطلحات جميلة مثل الحرية والتسامح والوسطية... إلخ ولن يطور أحد الفكر الصحيح قال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (١٢٠) سورة البقرة وأقول لكم لن تروا الحق حقاً والباطل باطلاً مهما تعمقتم في الفكر والسياسة والحياة إن لم تكن معرفة الله ورضاه وطاعته هو هدفكم قولاً وعملاً قال

تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ سورة العنكبوت (٦٩) وقال تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ سورة الحج (٤٠) ولتعلموا يا أيها الليبراليون والعلمانيون أن أحد أهم أبواب الجهل والضياع عند العرب بل كل البشر قديماً وحديثاً أن كثيرين يتكلمون في غير مجال تخصصهم العلمي وهذا لا يقتصر على المجال الفكري بل يشمل المجال السياسي والإداري والصحي والاجتماعي وقد قيل قديماً «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس» وقد واجهت شخصياً في مجال تخصصي وهو سياسة البحث العلمي صعوبات كثيرة من أهمها تدخل المتخصصين في أبحاث الطاقة والزراعة والجيولوجيا والإدارة والاقتصاد... إلخ في إصدار الفتاوي في مجال سياسة البحث العلمي مع أن المتخصص في أبحاث الزراعة هو متخصص في البذور ونمو النباتات وأنواعها وأمراضها... إلخ وليس متخصصاً في علاقة البحث العلمي بالتنمية وأنواع العلم والبحث العلمي وأهدافه وأولوياته وواقعه في الدول المتقدمة والنامية التي هي مجالات سياسة البحث العلمي إذا كان الأمر كذلك فماذا نقول عن سياسيين ومهندسين وتجار وغيرهم يقولون نحن ليبراليون أو علمانيون وهم لا يعرفون العلمانية والليبرالية والإسلام ولا يعرفون حدود العقل ومجاله ولا العلاقة بين الفلسفة والعلمانية ولا الفرق بين الحقيقة والرأي وبين النظرية والتطبيق... إلخ فلنحترم العلم ولنبتعد عن الثقة بعلمنا إذا لم نكن علماء أو متخصصين أو على الأقل مثقفين بصورة صحيحة في المجال الذي نتحدث فيه سواء كان هذا المجال فكراً أو سياسة أو تاريخاً أو إدارة أو غير ذلك ولننشئ المعاهد العلمية المتخصصة الكبيرة ولنستمع لأهلها ممن لديهم علم نظري وواقعي فيما يتحدثون فيه... إننا إن فعلنا ذلك نكون حققنا قفزة هائلة جداً في العقل العربي والعالمي وفي قضايا الإصلاح «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

الحياة الشخصية أولاً

يترجم المخلصون لمبادئهم اقتناعاتهم بها إلى أعمال وسلوك ومواقف في حياتهم الشخصية والعامة وكلما كانت المبادئ كثيرة كلما كان الالتزام بها ثقيلاً وواضحاً خاصة إذا كانت هذه المبادئ تحتاج إلى العطاء لا الأخذ وإلى التضحية لا الأنانية وإلى الحلم لا الغضب وإلى العمل لا الكسل... إلخ وعندما نسلط الضوء على العلمانية الرأسمالية سنجد أنها تركز على الحياة العامة فقط وهذا يعني أن مبادئها خفيفة وسهل حملها على المستوى الشخصي لأنها تتيح لك أن تعتقد ما تشاء وتفعل ما تشاء فبإمكانك أن تكون مؤمناً أو ملحداً أو زنديقاً وبإمكانك أن تكون عفيفاً أو فاسقاً أو تكون مبذراً أو بخيلاً أو باراً بوالديك أو عاقاً ويمكن أن تشغل نفسك كثيراً بالموسيقى أو الرياضة أو قراءة القصص أو مشاهدة الأفلام أو الأناقة أو الخمر أو الجنس أو الاهتمام بمصالحك المادية أو غير ذلك فكل هؤلاء علمانيون حقيقيون إذا دافعوا عن القانون والديمقراطية والقطاع الخاص. والسؤال الذي يطرح نفسه هل نتوقع من زنديق أو مغرور أو فاسق أو عاق أو بخيل أن يكون قيادياً صالحاً في حزب أو وزارة أو حكومة؟ أليس الفاسق فرداً منحرفاً تشقى به زوجته ولا يصلح أن يكون قدوة لأبنائه فكيف سيكون قدوة للموظفين أو المواطنين أو السياسيين أليس هناك احتمال كبير أن يستغل الفاسق السلطة إذا حصل عليها لإشباع رغباته الجنسية وأليس من الصعب على المغرور في حياته الشخصية أن يصبح شخصية عامة متواضعة بالتأكيد أن هذا نفاق إذا حدث أو ازدواجية مرضية ولا شك أن الإنسان ذو المبادئ الراقية والأخلاق الفاضلة في حياته الشخصية سيكون كذلك في حياته العامة والعكس صحيح. وبشكل عام لا يمكن معرفة صدق العلماني في الالتزام بالمبادئ العلمانية قبل أن يستلم وظيفة

عامة أما قبل ذلك فبإمكانه أن يدعي إيمانه بالديمقراطية وحرية الرأي فالكلام سهل والعمل صعب وكم من هؤلاء سقطوا في أول امتحان لهم فباعوا الديمقراطية أو العدالة أو الالتزام بالقانون وهذا واقع مشاهد أي كثير من العلمانيين والليبراليين يتخلون عن مبادئهم أمام إغراءات المال وفتنة المناصب أو الرغبة في تحقيق انتصار سياسي أو انتخابي. ولا شك أن سعادة الأفراد والمجتمع لا تقوم فقط على الحرية والديمقراطية كما يعتقد الليبراليون وانظروا إلى الحياة الشخصية للأفراد وستجدون أن التوحيد هو الذي يحقق وحدة القلوب ويحول الأعداء إلى أصدقاء وستجدون أن سعادة الأسر مرتبطة بالأخلاق والالتزام بالواجبات وليست بالحرية وستجدون أن الفقراء لا يحتاجون إلى حرية بل يحتاجون إلى زكاة وصدقات والعمال لا يحتاجون إلى حرية بل إلى عدل في رواتبهم وحقوقهم وما أكثر القضايا في المحاكم التي ستحل لو كان هناك أمانة وصدق ومعرفة بالمبادئ الصحيحة عند الناس أما الآباء والأمهات فهم بحاجة إلى رعاية وبر لا إلى حرية...إلخ وأنا لا أقلل من أهمية الحرية ولكن إعطاءها حجم أكبر من حجمها تطرف فكري فما أكثر أمراض الأفراد والمجتمعات وما أعجز الحرية في معالجة الكثير منها والإنسان الحر الحقيقي هو الإنسان الذي يعبد الله وحده فهو إنسان تحرر من الجهل الفكري كالعلمانية وغيرها ومن الشهوات والطمع والحسد والانتقام والكسل والنفاق والكذب والتعصب العرقي والحزبي والطبقي وهو إنسان مقيد بالمبادئ والأخلاق والالتزامات نحو نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته والإنسانية أما الإنسان الحر المزور فهو إنسان يتصرف كما يشاء في حياته الشخصية وليس عليه إلا القليل من الالتزامات فهو حر في ماله كيف ينفقه وحر في وقته ومواقفه السياسية فهو إنسان يسير على هواه أو شهواته وما أخطر الفكر إذا سار باتجاه الأهواء أو الشهوات ولهذا يطلق البعض على الفتاة المنحرفة بأنها فتاة

متحررة أي متحررة من العفاف ومثل هذه الفتاة لا تجد في عامة الشباب من يريدها زوجة فحرية هذه الفتاة حرية مزورة لأن الحرية الصحيحة تنفع ولا تضر وتبني ولا تهدم. وقد يقول قائل أنك تبالغ بأهمية الحياة الشخصية فالغرب حقق تقدماً سياسياً واقتصادياً وتقنياً هائلاً مع وجود الزندقة والإلحاد والفسق والأنانية في حياة كثير من أفراده وأقول ليس معايير نجاح الدول هي المعايير السياسية والاقتصادية فقط فالتوحيد أهم من الاقتصاد والأخلاق أهم من الحرية السياسية والاستقرار الأسري أهم من القوة العسكرية ونجح الغرب في بعض المجالات الهامة ولكنه رسب في المجالات الأهم وأفسد الإعلام العلماني الفهم الصحيح للحياة والترتيب الصحيح للأولويات على مستوى الفرد والدولة. وبالتأكيد أنه يوجد في بعض العلمانيين أخلاق عالية وبر بالوالدين وإحساس بالآخرين والفقراء والمظلومين ولكن هذا هو الاستثناء لا القاعدة فالقوم مشغولون في جمع المال والعمل وإشباع الشهوات وواقع الحياة الشخصية في الدول العلمانية الغربية كتاب كبير مفتوح فلنقرأه وسنجد الشقاء والتعاسة فالإحصائيات أثبتت أنهم من أعلى الشعوب عنوسة وطلاقاً وخيانات زوجية وتفككاً أسرياً وعقوقاً للوالدين ومادية وأنانية وزندقة والحاداً وجرائم قتل واغتصاب وأمراضاً نفسية وتعاطي مخدرات وإدمان خمور وتكاد تنقرض عندهم كلمات الحب والوفاء والإخلاص واسألوا كثيراً ممن أسلموا من الأوروبيين والأمريكيين وستجدونهم يخبرونكم أن حياتهم الشخصية أصبحت بالإسلام أفضل بكثير مما كانت عليه وأنهم وصلوا للسعادة وأصبحوا بالإسلام أفضل لوالديهم وأسرهم وابتعدوا عن الخمر والجنس المحرم وهذا كما قلت كتاب كبير مفتوح وحقائق واقعية تثبتت بالدليل القاطع العقلي والواقعي كم أشقت العلمانية البشر في حياتهم الشخصية بما زرعته من عقائد باطلة ومفاهيم خاطئة عن الحرية والعدل والحقوق والواجبات.

ماذا عملتم يا إسلاميين؟

قال لي صديقي الليبرالي: أنتم سبب تخلف الشعوب والأمة قل لي ماذا عملتم لشعوبنا أو للإنسانية؟ ماذا صنعتم للاقتصاد؟ لماذا لم تصبح الكويت مثل سنغافورة والنمور الأسيوية؟... إلخ
والرد على هذه الاتهامات والأسئلة من الليبراليين المتأثرين بمناهج الفلاسفة في الجدل والنقد وتوجيه الاتهامات والابتعاد عن الواقع والعمل يتطلب نقاش طويل يمكن اختصار كثير منه في النقاط التالية:

(١) المناقشة بالجملة: من الخطأ مناقشة المواضيع «بالجملة» فنتكلم عن الفكر والواقع والسياسة والاقتصاد والجماعات والأفراد والدول والحاضر والتاريخ فتوجيه الاتهامات «المتنوعة» في دقائق قليلة يعني أننا لن نصل إلى الحق والصواب وهذا الأسلوب يصلح للتطبيق في عالم السياسة وعالم الجدل وعالم تسجيل النقاط بالحق والباطل ولكن لا يصلح لمن يريد أن يصل إلى الحقائق.

(٢) فصل الفكر عن الواقع: قلت مراراً وأقول وأكرر من الخطأ أن يتناقش الباحثون عن الحقائق الفكرية في السياسة وأحداثها والدول ومواقفها والواقع بجوانبه المختلفة بل عليهم أن يركزوا نقاشهم على العقائد والمبادئ أي الإسلام والمسيحية والعلمانية والليبرالية والرأسمالية... إلخ وما هي الأدلة التي تقدمها هذه المبادئ على صوابها وخطأ ما يخالفها؟ وما نصيب هذه الأدلة من الصواب والخطأ؟ أقول ذلك لأن الخلاف بين المسلمين والعلمانيين هو خلاف فكري وحسمه يتم فكرياً وبالتالي فالفائدة ستكون غير موجودة إذا كنا سنتكلم عن السياسة والواقع والاقتصاد والتاريخ

والدول والأفراد... إلخ وبالتأكيد أن هناك علاقة بين الفكر والواقع ولكن الخلاف الفكري يتم حسمه فكرياً والاختلاف الفكري هو أساس اختلاف البشر وتصارعهم وهو المحرك لاتخاذ مواقف سياسية أو قرارات اقتصادية فلنتعامل مع جذور وأصول الاختلاف لا مع مظاهره وفروعه.

(٣) هذا بعض ما حققنا: قدم الإسلاميون الملتزمون لشعوبهم وأممهم وزراء أمناء وتجاراً صادقين وأغنياء متصدقين وموظفين مجتهدين ومدرسين محترمين وقدموا أسراً كثيرة مستقرة ليس فيها خيانة زوجية أو خمر أو ابتزاز مالي أو كذب وقدموا فكراً إسلامياً معتدلاً وقدموا أعمالاً خيرية كثيرة جداً كأفراد ومؤسسات وأي مقارنة في هذا المجال مع ما قدمه العلمانيون والليبراليون يثبت بالدليل القاطع الفرق الشاسع بين الطرفين وسنعرف أن اتهامات الليبراليين باطلة تجعل المجتهد فاشلاً وتجعل الفاشل ناجحاً فإذا استمعنا لحقائق الواقع سنعلم يقيناً أن كثيراً من اتهامات الليبراليين باطلة قال الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن الظلم تحميل الإسلاميين والاتجاه الإسلامي ما هو أكبر من طاقتهم وإمكانياتهم كأن تتوقع منهم تحرير فلسطين أو عمل اختراعات تفيد الإنسانية أو تحقيق قفزات اقتصادية كبيرة فهذا أمر عجزت عنه دول عربية كثيرة لديها جيوش وميزانيات وطاقات بشرية هائلة وغير ذلك وهو أمر عجز عنه العلمانيون والليبراليون العرب وليشرحوا لنا ماذا أنجزوا غير توجيه الاتهامات وإشعال الفتن الفكرية والسياسية والاجتماعية وغير نشر اليأس والتشاؤم.

(٤) تشخيص الواقع: سواء تحسن أو ساء الواقع المحلي أو العربي خلال الثلاثين سنة الماضية فالواقع ليس صناعة الاتجاه الإسلامي وحده بل يشاركهم في إيجابياته وسلبياته الحكومات والشعوب وما فيها من أحزاب وقبائل وجمعيات ونقابات وتجار وعمال وفقراء... إلخ وهو واقع يتأثر بالمؤامرات من أعداء الأمة وكون الاتجاه الإسلامي هو أكبر القوى الشعبية فهذا لا يعني أن تأثيره كبير على كل ما ذكرته من مكونات الواقع ودائرة عمل الاتجاه الإسلامي في الغالب هي الدائرة العقائدية والاجتماعية فليس من الإنصاف تحميله الضعف الاقتصادي والتخلف العلمي والتفرق السياسي وما قلت لا يعني أن ليس للاتجاه الإسلامي سلبيات ولكنه يبقى بالتأكيد أفضل من الليبراليين الذين سلبياتهم أكثر وإيجابياتهم أقل مقارنة بالإسلاميين ونتمنى أن يهتم الاتجاه الإسلامي كثيراً بالبحث العلمي والعلم والتعليم والاقتصاد والإدارة والتخطيط وأن يبعد المتطرفين عن صفوفه.

(٥) دراسة حالة: قلت لصديقي الليبرالي أريدك أن تسأل المتخصصين في الاقتصاد الكويتي عن الأسباب التي تعوق أن تكون الكويت كسنغافورة من الناحية الاقتصادية وستجد أن الإسلاميين ليسوا حتى سبباً ثانوياً في ذلك ولو سأل لقالوا له أن الشعب الكويتي شعب غني ولا يوجد دافع للاجتهاد في العلم والعمل وقطاعنا الخاص راضي بما لديه من أرباح من السوق المحلي ومن استثماراته خارج الكويت كما أن الشعب الكويتي يريد أن تبقى الحكومة مسيطرة على قطاع البترول والكهرباء والماء والإسكان والتعليم والصحة وهو لا يرحب بالقطاع الخاص الكويتي فما بالك بغيره وأتمنى أن يتعمق الليبراليون في واقعنا الاقتصادي والإداري والتعليمي والعلمي وإذا فعلوا ذلك وحددوا منابع الإيجابيات والسلبيات سيعلمون أن كثير من اتهاماتهم للإسلاميين باطلة.

(٦) **وجهان لعملة واحدة:** أستطيع أن أقول أن الليبرالية واليأس هما وجهان لعملة واحدة فالنظارة الليبرالية لا ترى غير الفشل والسلبيات والانحرافات فالليبرالية متمردة على عقائد المجتمع وقيمه ومتصادمة مع علماء الإسلام والشعوب المسلمة فمن الطبيعي أن ترى الناس ساذجين وسطحيين ومتخلفين ولا شك أنه تم تحقيق إيجابيات كثيرة وكبيرة في الأمة العربية خلال الخمسين سنة الماضية ولكن لازال الطريق طويلاً وهذه الإيجابيات لا يراها الليبراليون وهم ينشرون الهزيمة النفسية والتي هي أشد من الهزائم العسكرية وبالتأكيد أن أعداء الأمة يحاولون ليلاً ونهاراً إقناعنا بأننا فاشلون ومتفرقون ولا يمكن أن نتعاون ناهيك عن أن نتحد ويحاولون زرع الفتن والأحقاد بيننا كشعوب وبين فئات الشعب الواحد وهذا أمر ليس بمستغرب ولكن أن يشاركهم الليبراليون العرب في ذلك فهو أمر غريب والأغرب من ذلك أنهم لازالوا يجهلون دورهم في الهدم الفكري والسياسي والنفسي.

الإسلاميون والسياسة

يوجه صديق لي ذو صلاة وصيام وأخلاق نقده الشديد لكثير من الإسلاميين ويتهمهم بالدجل وأنهم أصحاب مصالح ويستغلون الدين ويظن أن عندهم انحرافاً كبيراً عن المبادئ الإسلامية فهم يتلونون في مواقفهم السياسية ويغيرون بين فترة وأخرى بعض اجتهاداتهم الفكرية وكثير منهم حصل على مناصب أو مال من باب استغلال المبادئ الإسلامية.

وبداية أقول علينا أن نعرف أن الإسلام دين واقعي وعملي وأن عالم السياسة عالم المتناقضات والضغوط والمصالح المتصادمة والظروف المتغيرة فمن الطبيعي أن تتغير مواقف الدول والأحزاب والجماعات والأفراد بين فترة وأخرى فيقبل البعض اليوم ما كان يرفضه بالأمس كما حدث مع منظمة التحرير الفلسطينية خلال الأربعين سنة وحتى مع الولايات المتحدة وتعاملها مع فيتنام والصين وإيران وقد تتغير التحالفات وقد يصمت من كان متكلماً ويتكلم من كان صامتاً ويعارض من كان مؤيداً وهكذا ولا توجد ثوابت إلا القليل في عالم السياسة وكاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية. وباختصار الالتزام بالمبادئ الإسلامية يتطلب التعامل الصحيح مع الظروف والواقع والمصالح بما يحقق مصالح المسلمين قال عمرو بن العاص رضي الله عنه «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين» فأحياناً نرضى بأمور سيئة حتى نتجنب الأسوأ فتجد زوجة صالحة تتنازل عن بعض حقوقها الشرعية في النفقة مثلاً في سبيل المحافظة على أسرتها أو تتحمل ظلم زوجها في سبيل أبنائها وهذا ليس تخلياً عن المبادئ وتجد تاجراً يقول لعامل سرقه أعطني مالي ولن أشتكي عليك لأنه يرى أن ماله سيضيع إذا اشتكى وهكذا الأمر في السياسة وخاصة عندما تكون في

حالة ضعف كدولة أو جماعة أو فرد مسؤول أما بالنسبة للإسلاميين فهم يتفاوتون في علمهم الشرعي وفي قوة إيمانهم فيوجد من تؤثر فيه العصبيات العرقية أو القيود الاجتماعية أو المصالح الشخصية أو غير ذلك ويوجد عند بعضهم جهل بالأحكام الشرعية وجهل حتى بالواقع السياسي والاجتماعي وتشابك المصالح وهذا واقع مشاهد فكم ركزوا على أمور جزئية وكم تجاهلوا أموراً هامة والأغلبية منهم ليس عندهم رؤية وبرامج وخطط تفيد المجتمع ويكاد يكون اهتمامهم منصباً فقط على القضايا العقائدية والاجتماعية أما التطوير الإداري والتقدم العلمي والتعليمي والتنمية الاقتصادية فلا يفهمون فيهم إلا القليل. ولكن وبالتأكيد أنهم أفضل من غيرهم إخلاصاً وإيماناً وتضحية وهذه أمور ثبتت في الحرب والسلم فهم الذين يتقدمون الصفوف في الجهاد والمقاومة ويعرف ذلك أعداء الأمة أما غيرهم فيغلب عليهم الظاهرة الصوتية وأقصد هنا العلمانيون والليبراليون الذين يتلونون في فكرهم ومواقفهم ويتناقضون في ولائهم وتحالفاتهم فمرة مع الشعب ومرة مع الحكومة وغالباً ما يذوبون أمام إغراءات المال والمناصب وقليل جداً منهم يبقى على مبادئه ويتمسك بها وعموماً المقارنة بين البشر وبين الدول وبين الأحزاب يجب أن تكون نسبية وسنجد أن الإسلاميين أفضل بكثير من العلمانيين والليبراليين فكرياً وأخلاقياً وسياسياً واجتماعياً بدليل أن الإسلاميين ينالون تأييد الشعوب في أغلب الانتخابات النزيهة. وأقول نعم هناك من يتاجر بالدين من سياسيين وتجار مشعوذين وغيرهم ولكن بالتأكيد أن ليس في الإسلام ما يغري لمن يرغب في الحصول على مال أو مناصب أو شهوات لأن الإسلام يتطلب التضحية والعطاء والصبر وكم دفع الإسلاميون ثمن تمسكهم بمبادئهم فدخلوا السجون وشرد بعضهم وأعدم بعضهم ناهيك عن الحرمان من المناصب والوظائف.

وأنا أتفق مع من يطالب المسلمين عموماً والإسلاميين خصوصاً بتحقيق

قفزات نوعية وكمية في أهدافهم وبرامجهم وأساليبهم وأن يبتعدوا عن الاختلاف والتعصب الفكري وأن يفهموا الدين والدنيا بصورة أفضل وأن يكون لهم دور كبير في تحقيق قفزات إدارية وسياسية وعلمية واقتصادية وأن يبعدوا المتطرفين والجامدين والمتعصبين عن صفوفهم وأن يزهدوا في المناصب ويختاروا القوي الأمين من أبناء الشعب فنحن نحتاج الكثير من الإصلاح في الاتجاه الإسلامي وأقول نعم مطلوب إحداث تغييرات جذرية وكبيرة في الاتجاه الإسلامي والجماعات الإسلامية والأفراد الملتزمين بالدين وعليهم أن يقوموا بمراجعات شاملة لأدائهم من قبل أفرادٍ محايدين وذي خبرة في السياسة والدين والحياة وأقصد بالمحايدين أفراداً من خارج الجماعات الإسلامية وما أكثر المستقلين والعقلاء في الاتجاه الإسلامي ولكن للأسف نادراً ما يتم مشاورتهم ولا شك أن العاقل لا يغتر بعلمه أو ثقافته أو خبرته بل يستشير أهل الحكمة والدين لأنه يضيف عقولاً حكيمة إلى عقله.

التخوف من الإسلاميين

ماذا سيفعل الإسلاميون إذا وصلوا للحكم؟ كم من الحريات سيتم القضاء عليها؟ كم من بني آدم سيقام عليهم الحدود؟ كيف سيتم التعامل مع النساء؟ هل سينهار الاقتصاد؟ هل سنعيش متخلفين عن العالم؟
هذه الأسئلة وغيرها يرددها أعداء الإسلام والمسلمين بهدف تخويف الشعوب من الإسلاميين وهذا أمر مفهوم ولكن الغريب أن يطرحه بعض أبناء الأمة من ذوي النوايا الحسنة وأقول الأغلبية الساحقة من الإسلاميين معتدلون ولا وزن سياسي أو شعبي أو فكري لجماعات إسلامية صغيرة متطرفة في التكفير أو التشدد أو الجمود أو العنف. وأفراد الاتجاه الإسلامي ليسوا جسماً غريباً عن المجتمع بل هم متواجدون في كل مكان ولا تكاد تخلو منهم عائلة وهم موجودون في الحكومات والنقابات والجمعيات والجيوش والأحزاب والقبائل والتجار والمدرسين والسياسيين والعمال والمحامين والأطباء... إلخ ولو كان هناك تخوف شعبي منهم لما نجحوا في أغلب الانتخابات النزيهة فالناس يعرفونهم ويعرفون أخلاقهم وعقلانيتهم وأعمالهم وأقوالهم وكم صار منهم وزراء ومسؤولون ونواب فلم يظلموا ويضطهدوا أحداً عن سوء نية وقصد بل هم أفضل من غيرهم إذا تم مقارنتهم بالعلمانيين والليبراليين من رأسماليين أو اشتراكيين أو شيوعيين أو عنصريين أو فاسقين أو فاسدين ومن الطبيعي إذا وصل الإسلاميين للحكم أو كان لهم تأثير كبير في حكومة فإن هذا سينعكس على القوانين والمناهج وأهداف الحكومة وهذا ما فعله الشيوعيون والرأسماليون وغيرهم والسؤال الذي يطرح نفسه هل المفاهيم الإسلامية خاطئة؟ وإذا كانت الإجابة أنها صحيحة فليتم تطبيقها فإذا تم محاربة الفساد الأخلاقي والخمر فهذا إصلاح للمجتمع وتطوير له وإذا تم فرض الحجاب فهذا أمر طبقته السعودية وإيران ولم تنقلب الأمور وهو أمر انتشر في نساء العرب حتى أصبحت عدد المحجبات في بعض دولنا أكثر من

٧٠٪ بدون أي قانون أو قرار حكومي أما المرأة فليست بعيدة عن الساحة فهي جزء لا يتجزأ من الاتجاه الإسلامي وهي التي تنتخب الاتجاه الإسلامي في الجامعات والمجالس النيابية. وإذا قال قائل أنت تتكلم عن الإسلام والمشكلة هي في الإسلاميين وأقول وأكرر الإسلاميون المتطرفون أو الجامدون هم قلة قليلة لا تصل حتى ٥٪ من الاتجاه الإسلامي وهذه النسبة القليلة غير قادرة على التأثير على الاتجاه الإسلامي فما بالك بالشعب أو الحكومة أما المسلمون المعتدلون فهم بالتأكيد أفضل فكراً وسياسة وأمانة من غيرهم وهذا لا يعني أنهم بلا أخطاء وضعف وجهل في بعض الجوانبٍ ما أقوله حقائق نراها بأعيننا ولكن هناك من يشوه بإعلامه القوي ليلاً ونهاراً الحقائق فيبالغ في سلبيات الإسلاميين ويقلل من إيجابياتهم ويفعلون العكس مع غيرهم فاحذروا الإعلام الكاذب وتحرروا من الخرافات الإعلامية التي تشوه عقائد الإسلام وأحكامه وعلمائه والجماعات الإسلامية. وليس من العقل أن نقول أن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم الذين سيفسدون الدولة والسياسة والحرية وأن غيرهم هم الذين سيصلحونها وهناك سياسيون علمانيون أو متأثرون بالعلمانية يبيعون الأحلام والوعود والآمال للناس فيصدقونهم وأغلب هؤلاء العلمانيين والليبراليين لم ينجحوا في عدل ولا سياسة ولا اقتصاد ولا حرية بدليل أنهم لم ينجحوا في أنظمة حكم كحكام ووزراء وغيرهم فقد كانت بأيديهم سلطة واستغلوها لمصالح مالية أو شهوات أو عصبيات عرقية وحققوا أنواعاً من الفشل السياسي أو الإداري أو العلمي أو العسكري والواقع كتاب كبير مفتوح فاقرؤوه بصورة صحيحة وستجدوا أن أنظمة الحكم العلمانية أو المتأثرة بالعلمانية في النصف الأخير من القرن العشرين كانت هي الأنظمة المستبدة والتي أسرفت في القتل والاضطهاد والظلم وصنعت أنواعاً من الفشل العقائدي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي وليس هذا مجال الشرح والتفصيل ولكن الغريب فعلاً أن العلمانيين يتبرؤون من هؤلاء ولا ينسبون التخبط

والضياع والظلم للأفكار العلمانية التي تبناها هؤلاء بكلمات أخرى هؤلاءِ لم يكونوا إسلاميين ولم يتبنوا الإسلام كنظام دولة بل كان فكرهم علمانياً أو متأثراً بالعلمانية ومع هذا غابت حرية الرأي وغابت المشاركة الشعبية الحقيقية وتصارعوا فيما بينهم على امتلاك المناصب وامتلأت جيوب بعضهم بالمال الحرام وأقاموا أنظمة التجسس والاستبداد وافتقدوا حتى القدرة على النجاح في انتخابات نزيهة بل وصل الأمر ببعض شعوبنا أن أخذوا يترحمون على أيام الاستعمار البريطاني أو الفرنسي. ومن التهم التي يوجهها العلمانيون والليبراليون هو أن الإسلاميين يخربون العقول والأفكار كما قال أحدهم «فمتىٍ ذهب العقل ذهب المنطق معه وتبع ذلك كل شيء آخر» وأقول مهزلة فعلاً أن يتحدث علماني أو ليبرالي عن خراب الأفكار والعقول فلا يوجد من قال أن العقول عاجزة عن الوصول للمبادئ والأفكار الصحيحة غيرهم وهم الذين قالوا وبأعلى صوتهم ما يوجد في كل العقول البشرية هي آراء فكرية لا حقائق فكرية وهم الذين قالوا لنترك العقل ولنحتكم للتصويت في التشريعٍ والسياسة ولمٍ يتركوا للعقل قضية واحدة يحكم فيها وهل هناك أكثر خراباً وأشد ضياعاً من اختلاف أفكارهم واقتناعاتهم حول كل شيء بما في ذلك وجود الله سبحانه وتعالى وهو أمرٍ يعتبر مِن بديهيات العقول وهو أمر اتفقت عليه عقول أغلبية البشر قديماً وحديثاً إن الفكرة الخربةٍ هي الفكرة الخاطئة وعندما يقول العلمانيون لا يوجد فكر صحيح يقيناً فهذا معناه كل الأفكار (المبادئ) تحتمل أن تكون خربة وإذا كانوا واثقين لهذه الدرجة من خراب أفكارهم (وهذه حقيقة وهو ما نتفق معهم فيه) فسيكونون أكثر ثقة بخراب أفكار غيرهم من مسلمين ومسيحيين ويهود والطريف أنهم يقولون نحن جهلاء في القضايا الفكرية الرئيسية ومع هذا يستمرون في الحديث عن المبادئ والعقائد وعن خراب العقول والأفكار وبالتأكيد من رصيده الجهل ويعترف بذلك عليه أن يصمت فهل يقتنعون بهذه البديهية العقلية والمنطقية ويصمتوا أشك في ذلك؟.

الليبراليون والسياسة والعروبة

شئنا أو أبينا يتأثر نسيج الحياة بعضه ببعض فالاقتصاد ذو علاقة بالسياسة والغنى والفقر لهما تأثير في نتائج الانتخابات واختلاف الأعراق يؤثر في السياسة والاقتصاد وهكذا وعندما نحاول أن نصل للحق في القضايا الفكرية لنعرف هل الحق مع الإسلام أو العلمانية أو الليبرالية أو غيرها من المبادئ نجد أن السياسة تتدخل وتشوه لنا الحقائق الفكرية ولهذا سأتطرق لبعض هذا التداخل من خلال تسليط الأضواء على الواقع والسياسة من خلال ما يلي:

(١) الاتجاه المعاكس: يتصرف كثير من الليبراليين كرد فعل واتجاه معاكس لمبادئ ومواقف وآراء الإسلاميين فإذا دافع الإسلاميون عن الحجاب والحياء دافع الليبراليون عن التبرج والاختلاط وإذا انتقد الإسلاميون آراء الزنادقة والملحدين قال الليبراليون هذه حرية رأي وفكر وإذا سكت الإسلاميون عن نظام ظالم قال الليبراليون ألم نقل لكم أنهم حلفاء الفساد ووعاظ السلاطين وإذا ثار الإسلاميون على نظام ظالم قال الليبراليون ألم نقل لكم أنهم إرهابيون وأعداء الأمن والاستقرار والقضية في أجزاء كثيرة لا علاقة لها بالفكر بل هي عداء شخصي أو سياسي نتيجة تنافس في انتخابات طلابية أو مهنية أو شعبية أو تعارض مع مصالح أو شهوات أو غير ذلك والقدرة على اتخاذ الاتجاه المعاكس في كثير من القضايا عند العلمانيين والليبراليين مرتبطة بأن فكرهم خالي من أي مبادئ يتمسكون بها ولهذا يدافعون عن كل مبدأ أو موقف مناقض للاتجاه الإسلامي فحتى العمل الخيري للاتجاه الإسلامي يعادونه وهو أمر لا يجب أن يختلف عليه عاقلان.

(٢) **الغش الفكري:** إذا كنا نريد أن نحقق الإصلاح فلنأت البيوت من أبوابها ولنبتعد عن اللف والدوران في القضايا الفكرية وقد قابلت نائب ليبرالي سابق لأناقشه في الليبرالية والعلمانية فأخذ ينتقد الإسلاميين وهذا أسلوب فاشل لأنه يتهرب من النقاش الفكري ويحوله لقضايا سياسية أو واقعية وهذه ليست شطارة ولو سلطنا الأضواء على واقع الليبراليين والعلمانيين العرب لأخذنا شهور ونحن نعدد سلبياتهم وفشلهم وتقلبهم وضياعهم وتناقضهم. ومن بديهيات الواقع أن أكثر من ٩٠٪ من الاتجاه الإسلامي هو اتجاه معتدل وواقعي فلماذا نضيع الوقت في الكلام عن جماعات قليلة متطرفة أو في المبالغة في حجم السلبيات عند الاتجاه الإسلامي المعتدل ولنفترض جدلاً أن كل الاتجاه الإسلامي متطرف أو منافق أو جامد أو سطحي ألا يفترض أن يكون من ينتقده متمسكاً بعقائد الإسلام وأخلاقه وعباداته وشريعته أما أن يكون من ينتقده أقرب للمنافقين أو المشركين وفي أحسن أحوال الجاهلين فهذه مهزلة أخلاقية. ولخص هذا أحد المسلمين بقوله "إذا كنا نحن خوارج فهل أنتم أصحاب الإمام علي" وأقول للعلمانيين من الليبراليين مرفوض من باب الصدق والأمانة أن تغشوا شعوبكم بإيهامهم أن خلافاتكم هي مع جماعات إسلامية متطرفة وأنتم تعلمون أن اختلافكم هو مع الإسلام وعلمائه والمعتدلين من المسلمين.

(٣) **قناع الوطنية:** من الأقنعة التي يستخدمها بعض العلمانيين والليبراليين منذ بداية القرن الواحد والعشرين قناع الوطنية فهم يتاجرون بالوطنية ويحاولون تكوين جبهة وطنية في مقابل الاتجاه الإسلامي كأنهم أكثر إخلاصاً للوطن من الإسلاميين فهم يريدون أي قناع يسترهم بعد أن اقتنعوا أن قناع العلمانية منبوذ وتحيط بالليبرالية الشبهات وفشلت الأقنعة الثورية والاشتراكية فلم يبق غير المتاجرة بالشعارات الوطنية

والمزايدة في الولاء لنظام حكم أو حكومة أو دستور والجبهة الوطنية التي يسعون للاختباء خلفها فيها خليط فكري وسياسي عجيب فتجد الرأسمالي والاشتراكي واليساري بل والشيوعي وتجد المستبد والديمقراطي وأقليات عقائدية أو عرقية وأقول وأكرر لم يكن ولن يكون الاختلاف الفكري الجذري قاعدة تصلح لبناء حزب ناهيك عن شعب ودولة كما لا يمكن بناء جبهة فكرية أو سياسية صحيحة من باب رد الفعل أو العداء للآخرين فمثل هذا التجمع مثل بيت العنكبوت قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٤١)

(٤) **العروبة والليبرالية:** قال المفكر العراقي حسن العلوي في مقابلة تليفزيونية في قناة بغداد الفضائية بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠٠٧ عن اجتماع لفئات عراقية معارضة "الليبراليون العراقيون ذو نهج تغريبي وهم لا يهتمون بالهوية العربية للعراق" وقال "القومية فكرة وضعها الاستعمار أما العروبة فهي حقيقة يجب التعامل معها والحفاظ عليها" وأقول بداية أن الانتماء العرقي هو انتماء طبيعي إذا لم يتحول إلى تعصب وجزء من الانتماء هو الدفاع عن أرض ومصالح وثقافة وهوية من ننتمي إليهم إذا لم تتعارض مع المبادئ الصحيحة وعقول كثير من العلمانيين والليبراليين ضعيفة أو خالية في مجال الانتماء للعرب أو اللغة العربية ولهذا تجدهم يحرصون على تعليم أبنائهم في مدارس أجنبية وتجد لغتهم وثقافتهم الغربية أكبر بكثير من ثقافتهم ولغتهم العربية وتجدهم يختارون الدول الغربية للسياحة بل وللاستثمار ومع أن عندهم مزايدات وطنية إلا أنهم يتنكرون للغة العربية التي هي جزء أساسي من الهوية الشعبية والوطنية فهم بأفعالهم هذه يتنكرون أيضاً للوطن لأن أوطاننا جزء من الوطن العربي والانتماء للوطن ليس ورقة رسمية أو جينات وراثية بل هو انتماء

للغته وحتى لهجته وهو انتماء لثقافته ومعرفة بتاريخ الوطن والأمة وهي التزام بالعادات الصحيحة فيه وحتى تفضيل للأكلات الشعبية على غيرها أما انتماء السخرية والتمرد والانعزال والغرور والجهل بثقافة ولغة وطنهم وأمتهم فهو انتماء لا نحتاجه ودليل على أن عندهم انتماء آخر أقوى.

(٥) الواقعية والليبراليون: من أقرب الكلمات إلى السياسة كلمة الواقعية أي فهم الواقع والقدرة على التعايش معه والعلمانيون والليبراليون العرب من أكبر الفاشلين في التعامل مع الواقع لأنهم دخلوا عليه من باب العداء لعقائد الإسلام أو على الأقل الاختلاف معها ولا توجد عند شعوبنا وأمتنا أي مشكلة فكرية أو تاريخية أو سياسية أو تقدمية مع الإسلام بل تجد حتى كثيراً من الفساق من المسلمين لا يرضون أن يسخر أحد من الدين حتى بكلمة واحدة فما بالك بغيرهم والإسلام للأمة العربية أكثر من فكر إن صح التعبير فهو تاريخها وثقافتها وأبطالها وانتصاراتها وأملها وما أكثر الليبراليين ممن دمروا أنفسهم سياسياً بل واجتماعياً لأنهم وقفوا ضد بعض مبادئ الإسلام فلم ينفعهم ما لديهم من إخلاص وخبرة وثقافة وأقول للعلمانيين والليبراليين لن ينافس الإسلام فكرياً وشعبياً أي فكر واسألوا الشعوب في استفتاءات صريحة وواضحة حتى تقتنعوا بأن بضاعتكم مرفوضة وخاسرة وهذه حقيقة واقعية فتعاملوا معها حتى لا تضيع جهودكم هباء منثوراً واعلموا أنكم لن تعرفوا الفكر الصحيح ولن تقرؤوا الواقع قراءة صحيحة إلا بمعرفة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه وطاعته فهذا هو الطريق الوحيد إلى الهداية قال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٣- ١٢٤).

علاج العقل الليبرالي

لا شك أن الوصول لمعرفة الحق من الباطل في العقائد والمبادئ ممكن بإذن الله إذا أخذنا بالأسلوب العلمي في دراسة الموضوع وابتعدنا عن أساليب خاطئة توصلنا إلى الجدل والضياع ومن الخطوات المطلوبة لمعرفة الحقائق في الاختلاف الإسلامي – العلماني – الليبرالي هو الالتزام بما يلي:

(١) مناقشة الفكر لا الواقع: تتطلب الموضوعية أن يكون النقاش حول الفكر لا الواقع أو السياسة أو التاريخ لأن الاختلاف حول الأحزاب والدول والاتجاهات والأفراد والتاريخ والأحداث السياسية والمواقف أمور لا يمكن حسمها في الغالب وتحديد الصواب من الخطأ فيها إذا لم نكن نعرف المعاني الصحيحة للتوحيد والعدل والحرية والجهاد والإرهاب والتسامح والتطرف... إلخ ومرتبط بهذه القضايا معرفة لماذا خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان؟ وقبل ذلك هل يوجد خالق؟ وهل أرسل رسلاً لنا؟ وما الذي جاء به الأنبياء؟ فالقضايا الفكرية هي العمود الفقري لأعمال الدول والجماعات والأفراد وهذه النظرة الشمولية للحياة هي المدخل لمعرفة الحق من الباطل وإذا تم تجاهلها سنضيع وإذا لم نعرف حقائق الحياة الفكرية الرئيسية لن نعرف الإيمان من الكفر ولا العدل من الظلم ولا المقاومة من الإرهاب فكيف سنتخذ المواقف السياسية الصحيحة؟ والقضايا الفكرية غير مقتصرة على الخلاف الإسلامي العلماني بل مرتبطة أيضاً بالمسيحية والشيوعية واليهودية والنازية... إلخ وقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه «اعرف الحق تعرف أهله» وإذا وصلنا إلى الحقائق الفكرية (الحق) سيسهل علينا معرفة أهل الحق ومعرفة الموقف الصحيح مما في العالم من أحداث سياسية وغيرها وكذلك الموقف الصحيح فيما يواجه الفرد والأسرة من قضايا اجتماعية أو مالية أو تربوية أو غير ذلك.

(٢) **الوثائق الفكرية الصحيحة:** من الضروري جداً الوصول للمعلومات الفكرية الصحيحة للعقائد والمبادئ من أقوال أصحابها ومن المتخصصين في العقائد والمبادئ بعيداً عن تشويهها من الخصوم والأعداء أو من المتطرفين فيها أو الجهلاء أو الجامدين فهناك الكثير جداً من الضياع في هذا الباب وبدون أن تكون الملامح الفكرية واضحة ومحددة بصورة كافية سنعيش في ظلام قيعان من بحار الاتهامات الباطلة والأكاذيب الفكرية والجهل الشائع وإذا اتضحت الملامح الفكرية فسنرى أن الديمقراطية هي جزئية فكرية وليست فكراً شاملاً وسنرى تشابهاً كبيراً جداً بينها وبين الشورى الملزمة في الإسلام وسنرى أن العدل والحرية والمساواة أهداف عامة وليست مبادئ فكرية محددة المعالم لأن هناك معاني كثيرة للحرية وكذلك للعدل والمساواة ولن نعرف المعاني الصحيحة من الخاطئة إلا إذا تم تحديد العقائد الصحيحة أولاً. وسنعرف أن هناك ملامحاً فكرية مشتركة بين الإسلام والرأسمالية تتمثل في حرية التملك والبيع والشراء وأهمية القطاع الخاص وسنعرف أن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة وليست هي العلمية أو العقلانية أو المنهج العلمي وسنعرف أن العلمانية والفلسفة وجهان لعملة واحدة وسنعرف أن العلمانية هي المدرسة الفكرية الأم التي ولدت فيها الشيوعية والاشتراكية والوجودية والرأسمالية... إلخ وإذا تعمقنا أكثر في القضايا الفكرية سنعرف أن حسم الخلاف بين العقائد يتطلب الابتعاد عن مناقشة الجزئيات الفكرية أو ماذا تقول هذه المبادئ وقياس إيجابيات وسلبيات ما تقول بالعقل المجرد فهذا أسلوب محدود الفائدة فلابد أن نتساءل من أين جاءت مبادئك لا ماذا تقول مبادئك؟ وهذا يرجعنا إلى الأصول والجذور للعقائد وهذا يعني أننا لن نناقش الشيوعية في جوانبها الاقتصادية أو في أهمية حقوق العمال والفلاحين بل نناقشها في موضوع نفي وجود الخالق وما هي أدلتها العقلية وكذلك الأمر مع الإسلام والعلمانية والرأسمالية

والليبرالية... إلخ وجزء من رسم الصورة الفكرية الصحيحة هو في إبعاد الفكر عن آراء علمائه ومفكريه وفلاسفته فنحن نريد مناقشة الفكر لا آراء علماء أو مفكرين أو فلاسفة لأن هؤلاء يصيبون ويخطؤون.

(٣) النقاش بين المتخصصين: إذا جاء أصحاب كل عقيدة ومبدأ بالصورة الفكرية الصحيحة لمبادئهم ولا مانع أن يكون هؤلاء بالعشرات بمعنى أن يكون عدد المبادئ كثير فيمثل كل فكر أكثر من مدرسة وهنا يتم عمل حوارات عقلية شاملة وعلمية وهادئة جداً بين أناس متخصصين في الفكر أو لديهم على الأقل ثقافة فكرية صحيحة لأن مشكلة الكثيرين جداً أنهم يتكلمون في القضايا الفكرية وليست لديهم علم في بديهيات القضايا الفكرية وهذا أمر رأيته واضحاً جداً في كثير من العلمانيين والليبراليين العرب فمن الغريب فعلاً أن ترى ليبرالياً عربياً مسلماً لا يعرف الفرق بين الشريعة والفقه بل لا يعرف حتى بديهيات التوحيد أو تجد علمانيين لا يعرفون المبادئ الفكرية العلمانية والليبرالية فكيف بغيرها؟ وأنبه هنا أن هناك كثيرين ذو ثقافة فكرية مشوهة لأنهم قرؤوا الكثير ولكن لم يتعمقوا ولم يفهموا الملامح الفكرية للعقائد وهناك كثيرون منهم لديهم شهادات في العلوم المادية وهي لا تؤهلهم لأن يتكلموا في العقائد. ومن الضروري جداً أن يكون الحوار علمياً وليس سياسياً فنحن لسنا بحاجة إلى تصفيق أو انفعالات عاطفية أو تجريح أو استهزاء فالمطلوب هو البحث عن الحقائق والتفكير فيها ومناقشة الأدلة العقلية وهذا أمر بحاجة لمتخصصين في القضايا الفكرية وبحاجة إلى الحكماء منهم ومثل هذه الحوارات يجب أن تكون في كل مكان في العالم وبحاجة إلى إدارة متميزة تبعدها عن الاستغلال السياسي ويفضل أن تكون بعيدة عن الجماهير العادية ويقتصر حضورها على أهل الثقافة والعلم والسياسة ويكون أطراف الحوار هم المتخصصين

في القضايا الفكرية وبهذا الأسلوب نكون قطعنا شوطاً كبيراً في الطريق للوصول للحقائق الفكرية.

(٤) **وجهاً لوجه:** إذا كان الحوار الشامل ومتعدد الأطراف هو القاعدة فإن النقاش الفكري ذو الطرفين مطلوبٌ وهو الأكثر انتشارا ولكن مشكلته أنه قد يكون الحق ليس موجوداً عند أي من الطرفين كما يحدث وحدث في النقاش بين الرأسماليين والشيوعيين خلال القرن العشرين لأن كلاهما ضائع فكرياً وإذا أضفنا إلى ذلك تدخل الاعتبارات السياسية ومصالح الدول فإن طريق هذا أوله لن يصل للحقائق الفكرية وعلى المسلمين أن يكونوا هم أول وأكثر المطالبين بالحوارات الفكرية الراقية وأن يدخلوا في حوارات مع العلمانيين والليبراليين والمسيحيين واليهود والبوذيين والهندوس وغيرهم بالأسلوب الذي ذكرته ومثل هذه الحوارات الفكرية مطلوبة بين المسلمين أيضاً وهناك للأسف نقص شديد في عددها ونقص شديد في نوعيتها وهناك أيضاً تلويث لها بإدخال القضايا السياسية ومصالح الدول وغير ذلك.

(٥) **المعلومات الصحيحة عن الواقع:** لن تؤدي الحوارات الفكرية إلى حسم الخلاف الفكري وتوحيد البشر تحت الفكر الصحيح وإنهاء وجود المبادئ الخاطئة ولكن ستؤدي بإذن الله إلى وصول كثير من المخلصين للحق والصواب والله سبحانه وتعالى يهدي من يريد الوصول للحق ويجتهد في ذلك ومن خلال الفكر الصحيح سنتمكن من بناء القاعدة التي ننطلق منها في حل مشاكل الإنسان والواقع وسنحتاج معلومات صحيحة عن الواقع وسيحدث التقاء الفكر الصحيح بالنوايا المخلصة بالمعلومات الصحيحة عن الواقع وعند ذلك يحدث الإصلاح على مستوى الفرد والأسرة والجمعيات والجماعات والأحزاب والمؤسسات والشعوب والدول.